كتاب الشفا قطلبوغ

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير اغاء دار السعادة الشريفة
لسنة اثنين وخمسين
ومائة والف





هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية مفتح معاقد
المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر الاكمل
الا وهو اغاء دار السعادة الحاج بشير وفقه للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره محمد امين العفير
المفتش باوقاف الحرمين المحترمين

عفي له



١٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام القاضي ابو الفضل عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه. الحمد لله
المنفرد باسمه الاسمى. المختص بالملك الاعز الاحمى. الذي ليس دونه منتهى. ولا وراءه مرمى.
الظاهر لا تخيلا ووهما. والباطن تقدسا لا عدما. وسع كل شيء رحمة وعلما. واسبغ على اوليائه
نعما عما. وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما. وازكاهم محتدا ومنمى. وارجحهم عقلا وحلما.
واوفرهم علما وفهما. واقواهم يقينا وعزما. واشدهم بهم رأفة ورحما. زكاه روحا وجسما. وحاشاه
عيبا ووصما. واتاه حكمة وحكما. وفتح به اعينا عميا. وقلوبا غلفا. وآذانا صما. فآمن به وعزره ووقره
ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما. وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله
عليه الشقاء حتما. ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى. صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين. ولطف لي
ولك بما لطف به لاوليائه المتقين. الذين شرفهم الله بنزل قدسه. واوحشهم من الخليقة بانسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته. وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة. وولّه عقولهم
في عظمته حيرة. فجعلوا همهم به هما واحدا. ولم يروا في الدارين غيره. فهم بمشاهدة كماله وجلاله
يتنعمون. وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون. وبالانقطاع اليه والتوكل عليه
يتعززون. لهجين بصادق قوله تعالى. قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت
على السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم. وما يجب له من توقير واكرام

انفسهم صح

٧

وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر. او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر.
وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال. وابينه بتنزيل صور وامثال.
فاعلم رحمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا. وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا.
وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا. ملأ قلبي رعبا. فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول
وتحرير فصول. والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق. مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه. ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا. وتقصر بها الخطا
ومجاهل تضل فيها الاحلام. ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان
لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد. لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال
وثواب بتعريف قدره الجسيم. وخلقه العظيم. وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق.
وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه. قال حدثنا الحسين بن محمد. وحدثنا
ابو عمر النمري. وحدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن. وحدثنا ابو بكر محمد بن بكر. وحدثنا سليمان
ابن الاشعث. وحدثنا موسى بن اسماعيل وحدثنا حماد قال اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض. مؤديا من ذلك
الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه
الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد
حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله
فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته
وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا
وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته

اكرمك صح

اليه صح

ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وحصرت
الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم
قدره لديه فيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى المحاسن خلقا وخلقا
وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى
على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول فيه
في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول
الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته
والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المومن باليقين وتملأ
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام وينقسم

هذا النبي الكريم

النبي صلى الله عليه وسلم

تصرف

الكلام

الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص
وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه خمسة فصول وختمناه بباب ثالث
جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في عشرة فصول
وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة
وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم
مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله الا هو الملك الحق
استعين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال الامام القاضي
ابو الفضل وفقه الله تعالى وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها
ما صرح الله به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه
وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا
وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال
وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم
حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك
ابن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا

يتنجز

لعظيم

اسحاق بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بالبراق ليلة أُسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول
في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعدّ محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها
على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك
مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال
السمرقندي وقرأ بعضهم من انفَسكم بفتح الفاء وقرأ الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل
وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون
مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه
لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه
بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم
واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف
رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الآية وقوله عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروى عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون

وفي الآية الاخرى والذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية

اخوجك

الصفو

٤

الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر
زين الله تعالى محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلاة والسلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة
للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم
كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله فسلام لك من اصحاب
اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله نور
السموات والارض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه الصلاة
والسلام وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل
السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من
الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم تتبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم
وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال عز وجل قد جاءكم

من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة شرح
وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل
بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني
قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت
ذكرت معي قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال الفقيه القاضي
ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله تعالى جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم
نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها
وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه
مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول
تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال
ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه الصلاة والسلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن

محمد

محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال
قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن قال حدثنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود السجستاني
قال اخبرنا ابو الوليد الطيالسي قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء
فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب
في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين
الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد
غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى
والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا
الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من
فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي
انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول الآية فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم
قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية انه محمد عليه الصلاة والسلام
وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه الصلاة والسلام وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي
جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل
غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق
بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة
فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه الصلاة والسلام
ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا
منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا ابو
عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن سنان قال
حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله

لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
قلت صح

حتى

حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما
وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه
عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده
لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني
بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة
وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الآيتين وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي
ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا
هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي رحمه الله ابان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله عز وجل في الآية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله
عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله عز وجل وسطا اي عدلا خيارا
ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل
جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير
فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية انكم

امتهم

حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد
الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم
وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد
في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم وقال ولو بدأ النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا
الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته
عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى
انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي
ابو الفضل وفقه الله تعالى يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة
خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو
عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه
الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب

ويتبين

ان كان

ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه الصلاة
والسلام قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية
العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن
اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم
انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله
الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام
والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفين
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم ظالمين جاحدين فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره
لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره
عن من قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ
يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون
انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه
وبره تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح
يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي
يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله تعالى جل جلاله بمدة

قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون صح

فقال تبارك وتعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون صح

حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ
نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى
يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند
ربي عشرة اسماء وذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس
يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام
يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر
انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد
فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه
الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له
وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلاة والسلام
انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به
وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك

فيه

فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من
قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله تعالى اشارة الى
محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب
قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام
جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل
معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم
ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم
وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم القرآن
وقيل هو اسم الله تعالى وقيل هو اسم جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن
محمد في تفسير قوله تعالى والنجم اذا هوى انه محمد عليه الصلاة والسلام قال النجم قلب محمد
هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله تعالى وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى
جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف
في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل
لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند
فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى تضمنت
هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له
عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم
درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى

اى ما تركك وما ابغظك وقيل ما اهملك بعدان اصطفاك الثالث قوله تعالى
وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اى ما لك فى مرجعك عند الله اعظم
مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى
الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية
فى القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامس ما عده تعالى
ان يدخل احد من امته النار
من نعمه وقرره من الآية قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس
على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة
والغنا فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك
فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك
ويحتاج
يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته
ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشارة ذكره بقوله
واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف
المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن
جعفر بن محمد انه محمد عليه الصلاة والسلام وقال هو قلب محمد وقد قيل فى قوله والسماء
والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه السلمى تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه
العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه
وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة

الاسراء

الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه
الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة
والسلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضى ابو الفضل واشتملت هذه الآيات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الآفات فى هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه زكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم
انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين
اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم امين اى فى السماء امين على الوحى
قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعنى محمدا قيل
رأى ربه وقيل رأى جبريل فى صورته وما هو على الغيب بظنين اى بمتهم ومن
قرأها بالضاد فمعناه ما هو بخيل فى الدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد عليه الصلاة
والسلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم
قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات
الآداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه

من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم
قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير
وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث
الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا
ذلك بفضله سبحانه ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله
فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته
لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده الفصل
السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام وقيل
هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والها كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة
وهو قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر
الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي قال حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد
ابن حميد قال حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة

وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل انه صح
هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما
اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان
عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت
وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم
فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبياء وحظوة رتبته من ذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه وهو ما ذكره
في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم

فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى آى تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى الآية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله شهيدا
روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم
فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر
الانبيا وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون
ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا فى الخلق
وآخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى
فى هذا تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى
اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى يا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى
فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد اى ان من شيعة
محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن فى اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما خرج
النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون

فيهما من بقى بها

وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت
وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب
عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم وفى الآية ايضا تأويل آخر حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
بقراتى عليه قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا حدثنا
ابو يعلى ابن زوج الحرة قال حدثنا ابو على السنجى قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزى
قال حدثنا ابو عيسى الحافظ قال حدثنا سفين ابن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل
ابن ابراهيم ابن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة ابن ابى موسى عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن قال الله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله
عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلما تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت
قرة عينى فى الصلاة على هذا اى فى صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك
الى يوم القيمة والصلاة من الملائكة ومنا دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون
يباركون وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين
لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين فى تفسير
الحروف كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف

ودرأه

وهم يصدون عن المسجد الحرام صح

وقيل اسمه عبادة بن يوسف وهو الذى ترجم عليه
شيخنا الحافظ جمال الدين المزى رحمه الله فى كتابه تهذيب
الكمال فى اسما الرجال وذكر هذا الحديث وقال فيه غريب
ولكنه قال فى آخره وقيل اسمه عباد وهو الاصح ن

فيهم

عبده والهها هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والنيا تاييده قال ايدك بنصره
والعين عصمته قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله
وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية
اى وليه وصالح المؤمنين قيل الانبيا وقيل الملائكة وقيل ابوبكر وعمر رضى الله عنهما
وقيل على رضى الله عنه وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته
سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثنا عليه وكريم منزلته عند الله تعالى
ونعمته عليه ما يقصر الوصف عن الانتها اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له
من القضا البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته ~~وحقيقته~~
وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك عليك وقيل بفتح مكة
والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته
عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته
المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم
العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه
وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا
من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبق له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلونه
وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اى تعظموه وقرا بعضهم وتعززوه
بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه

فهذا

اى انك مغفور لك

فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة
نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة
وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة
الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم
بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا
وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد
ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اى انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه
وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم
اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب
المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق
فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة
وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله
رمى قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى
وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما نصه تعالى من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس

تنزيه

والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا
في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر
لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة ابن مالك
حسبما ذكره اهل الحديث في السير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله
تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى
بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المنفرد (المفرد) الوحيد والذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقرآن العظيم
ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سايره وقيل السبع
المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم
وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون ساير الانبياء
وسمى القرآن مثاني لان القصص ثنيت فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا
اليك الذكر الآية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا قال القاضي رضي الله عنه فهذه من خصايصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث
محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد

حاشية
قال الحافظ جمال الدين المزي رحمه الله القصص بكسر القاف
جمع قصة وبفتحها الخبر ولذلك يوصف بالمذكر
فيقول قصص حسن معناه خبر حسن ومنه قوله تعالى
لقد كان في قصصهم عبرة ونحن نقص عليك احسن القصص

على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة
كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له
في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله
عليهما الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل
جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب
الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج
ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان
في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه
ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله
وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما
المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة
والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى
وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ولكنها

كلها محاسن وفضايل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب
حسنها وتفضيلها فصل قال القاضي رحمه الله اذا كانت خصال الكمال والجلال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل
عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب
باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى
ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء
والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل
والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع
الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع
الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر
بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة
من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله
غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم

اعلى

اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال
الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه الصلاة والسلام
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل
قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها
فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس
ابن مالك وابي هريرة والبراء ابن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة
وابي جحيفة وجابر ابن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض ابن معيقيب وابن الطفيل
والعداء ابن خالد وخريم ابن فاتك وحكيم ابن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ
في الجدر وقال جابر ابن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض
ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي
هالة يتلألأ نور وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة

وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله والاحاديث في بسط
صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه على نكت ما جاء فيها وجملة
مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب ان شاء الله تعالى وختمنا هذه الفصول بحديث
جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصايص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على
النظافة حدثنا سفيان ابن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس
الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره
مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس
الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار
انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه وروى المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت
خاتم النبوة بفمي فكان ينم على مسكا ذكر اسحق ابن راهويه ان تلك كانت
رايحته بلا طيب وقد حكى عن بعض المعتنين باخباره وشمايله انه كان اذا اراد
ان يتغوط انشقت له الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة
طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا يرى منك شي من الاذى
فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شي وهذا الخبر

الحرثي

وان لم يكن

وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر ابن الصباغ في شامله وقد حكى
القولين عن العلما في ذلك ابو الحسن بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع
المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي
صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر الى ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله
لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو من هذا عنه
في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم
الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي
ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا
عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
وعن علي اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي
الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى
سمع غطيطه فقام وصلى ولم يتوضا فقال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

حاشية
قال الحافظ درة الزمان ابو الحجاج المزي رحمه الله تعالى
روى الامام احمد في مسنده من حديث عمارة بنت ابي حنيفة
قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه بين
سحري ونحري قالت فلما خرجت نفسه لم اجد
ريحا قط اطيب منها انتهى قال الحافظ المزي
ورجاله على شرط الصحيحين

واختلف في

فصل وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا
عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة
وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم
رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى
من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي
الموطأ عنه عليه السلام إني لأراكم من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن
عائشة مثله قالت زيادة زاده الله إياها في حجته وفي بعض الروايات إني
لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفائي كما أبصر
من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى
في الظلمة كما يرى في النهار والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم
والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا
أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه قال حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني
قال حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها قال حدثنا الشريف أبو الحسن
علي بن محمد الحسني قال حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام قال حدثنا الحسن

الضوء صح

محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان
قال حدثنا صح

عن قتادة

عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة
بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته
وكان دعاه إلى الإسلام فصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت
أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا
لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت
معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب فصل وأما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع
الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف وأوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم
ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة
العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها
وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة
كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم

المنغار صح

يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تُلْطِط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا
تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن
كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة
لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم
بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم
على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم
وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه صلى الله عليه وسلم المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين
وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحته ولا يبارى
بلاغته كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى
لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم
تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل

وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعايه اللهم اني اسلك رحمة
تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اني اسلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على
الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره
وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر
احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى
بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التايد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها
له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه
فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم
نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه
وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله تعالى وعلى عباده حدثنا القاضي حسين
ابن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف قال

حدثنا ابو ذر عبد بن احمد قال حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا اخبرنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن
عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه
وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار من
بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان
قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قال قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب
نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد
بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فصل واما ما تدعوا
ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته
وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال
بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العلماء العرب والحكماء

تمادح

تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص
والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد
وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع
الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز
وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا
ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف
مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع
من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو
علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني قال حدثنا
ابو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا
عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام
ابن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن آدم وعاء شرا
من بطنه حسب المسلم ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب
قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة لم يمتل
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا
بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم

فتخسروا كثيرا

اعتقادهم انه لايحل له فاراد بيان سنيته اذ انهم لم يقدموه اليه مع علمهم انهم لا يستأذنون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية
وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة و
قعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي
صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما
انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل
على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الاخبار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر
اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى ابدأ صح
الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم
على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل
والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد
قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه
من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن ونحوه

لابن

لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثير الزوجات والسراري كثير النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله
عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس
كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل
في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى او بكفاية من الله تعالى كيحيى فضيلة زائدة
لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر
عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح
انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين
من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي
ذكرنا في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن
وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له عدد

الجرائر مالم يتح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروى نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر لكل
واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن
عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلاث مائة امراة وثلاث
مائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امراة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوجة
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس
باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند
العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى
عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم
العلو في الارض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
من رؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال
لها يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث

فاما عظيم

فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى
هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه
على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس فضيلة في نفسها فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة
النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هي
للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط
اليها
عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق
ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق
وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه

واغنى به غيرة وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي
منه دينار الا دينارا ارصده لدين واتته من دنانير مرة فقسمها وبقيت منها
ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على قدر
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكسا
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف
والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد
ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير
آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة
زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي
اتفق جميع العقلا على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا
عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس
واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتها في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله
تعالى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي

حسبه

ابن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل
خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الالهي وخصوصية
ربانية وهكذا لساير الانبيا صلوات الله على جميعهم منذ صباهم الى مبعثهم ومن طالع
سيرهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله تعالى
في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد في بطني يسجد لما في بطنك تحية له
وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني
على قراة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه
في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو صبي
يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام
مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا
اصطفاه قبل ابدا خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه
ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحق عليه السلام بالذبح كان
وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو

ومن طالع سيرهم كما

قضية

ابن خمسة عشر شهرًا وقيل اوحى الله الى يوسف عليه السلام وهو صبي عند ما هم اخوته
بالقائه في الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك
مما ذكر من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء
وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض
الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما
ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما
نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها
هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال
هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه
الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير
الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث

منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه
عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه
واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية
وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل
الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك كما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا
اذ مجموعها لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب
فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو

فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وامر بالعرف الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية
سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان
الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى
له واصبر على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال سبحانه
وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره حدثنا ابو
عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
بها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت
وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر
ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس

الجاهلية

وغاية

وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا
ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب
الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزد في جوابه
ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان
لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث
ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن
خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن
عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على
الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه
بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
ابن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن
انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه
اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه
ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك
لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت
بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها

خبت وخسرت ان لم اعدل صح

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة
قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه
واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في
القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين
صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات
النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث
عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي
عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ
متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة
الشدائد الصعبة معهم الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في
استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون
رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم
عنكم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان

الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك
واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى
صلى الله عليه وسلم

فصل

واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها
متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب
النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة
والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي
رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله
الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر
سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا
وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى
غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة فهذه كانت خلقه
حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل الكل
وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف
واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر

ماكلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه
وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ
ابن عفراء قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب تريد طبقًا
واجر زغب تريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليًا وذهبًا وقال انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئًا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم
كثير وعن ابي هريرة قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسئله فاستسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا
وقال نصفه قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة
وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له
فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي
سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء
وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء
وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب
وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي يومئذ احد كان اشد منه وقال
غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما
التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع

وابو سفين

وابو سفين آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد
الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد
اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسًا وقيل كان الشجاع
هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن
انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس
لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعًا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين
ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما
رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقًا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا وقيل
بل كسر ضلعًا من اضلاعه فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك

والله لو صبق على لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحيا والاغضا

والحيا رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا

من فعله والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي

صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاً قال الله

سبحانه ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب

رحمه الله بقراتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي

حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا

عبدان انا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس

عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من

العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم

لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن

عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه

لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى

عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا

وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها

قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا

ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي

مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي

وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد

وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها

ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته

وادابه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت

به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس

صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن

علي بن المشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره ثنا ابو اسحق الحبال

حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود وهشام ابو مروان

ومحمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير

يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال

زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف

قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف

فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة احق بمقدمها وكان

صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر

الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد

اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه جلساته

او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده

الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا

عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دايم البشر سهل

الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب

ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله

لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع

بالتي هي احسن السيئة الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت

كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر

سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته

لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه
بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق
بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف
صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما
واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن
الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس
كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة
بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة
الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف
رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله
عليه السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد

الغافر

الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم
ابن الحجاج حدثنا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن
شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني
وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان
اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم
فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك
قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين
ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما
كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين
ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني
احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم
تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله
صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر

صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعب امته
ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء
الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وقال
فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام
فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال
لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال فسلم عليه وقال مرني بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو
ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن
المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان
يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها
ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن
العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه حدثنا
ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن
الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابراهيم بن
طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله
ابن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد
ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ

ثلاث

ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت
تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما
كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت
عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها
فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم
رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة
الشيماء في سبايا هوازن تعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت
عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة
حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه
التي ارضعته وعن عمر بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم
اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان
يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل
من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم

وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم
يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة في سنة سبع وخمسماية حدثنا
ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة ابو داود
حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما
تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل
كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شي جاته
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طريق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على
حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان صلى الله عليه وسلم
يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا

واعدهم

لا ريا فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مايه بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق
بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية ذلك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه
الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني
لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل فقال للوزان
زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي احق بشيه
ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق
لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف
الناس واصدقهم لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه
وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه

ويطحن

محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بنا الكعبة فيمن
يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل
نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني
لامين في السما امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه حدثنا
ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ سا ابو كريب حدثنا
معاوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية ابن كعب عن علي رضي الله عنه
ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا
بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم
ليس هنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فخبرني عن محمد صادق ام كاذب
فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه
ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا
وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم
بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام
اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن

خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلثة اجزا جزءا لله وجزءا
لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من
لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ياخذ احدا بقذف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر
الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسو حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى
معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسو فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه حدثنا
ابو العباس الدلائي انا ابو ذر الهروي انا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي
حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن
ابن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب سمعت خارجة بن زيد
يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج
شيا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله
عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة

بقرف

[illegible]

بثوبه

يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حكم وحياء
وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض
ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدى
هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على
اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه
وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء
هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد
سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله صلى الله عليه وسلم وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين بن العاصي والحسين
ابن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا
ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا سفين حدثنا ابو الحسين
ابن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية ما شبع آل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث — الحرث
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة ولقد مات صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد
الا شطر شعير في رف لي وقال لي صلى الله عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل
لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فاحمدك
واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك
السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له — اين
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث
شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عايشة وابي امامة وابن عباس عنهم نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا
في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان
فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيتها مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة
باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه

بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه
من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها
ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع
واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة
ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم
فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك
قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه حدثنا ابو القاسم الطرابلسي
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن
شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية
عن ابي عيسى الترمذي يرفعه الى النبي ذرّ اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله
عز وجل لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة
تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى

حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطيق وقالت كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر
حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت
كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر
باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل
ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عايشة
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن
عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكر ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي
رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر
ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي

فبدأ

والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث
آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله عليهم
اجمعين من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم وسلامه اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم
ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم
آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السما، وفي حديث ابي هريرة رأيت
موسى فاذا رجل ضرب رجل افني كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث
آخر مبطن مثل السيف قال صلى الله عليه وسلم وانا اشبه ولد ابراهيم به
وقال في حديث آخر في صفة موسى صلى الله عليه وسلم كاحسن ما انت
رائي من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة اي
كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة
عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم
وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت
انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى
في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ
الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال الله ان الله يبشرك

الى

الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية فبراه الله مما
قالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما
الآية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير
من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم
باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه
بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل
انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان
نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم الى الاخيار وفي داود انه اواب
ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله من
صابرا وقال تعالى عن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله صح
الصالحين وقال تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الآية قال سفين هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم
ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير
كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك

الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اوتي
من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس
لذايذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف
فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج
فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلاة
الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه
ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه حتى
اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته
فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت
حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر
ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبيا قبلي
يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال
عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان

اعوّد

اعوّد لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من
خشية الله عز وجل حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش
ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة
تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا فصل قال المؤلف رحمه الله قد آتينا
اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه
مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد
تتقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء
ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه
الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه
كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف
على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقرائتي عليه سنة ثمان وخمس مائة حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن
طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن
الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انا ابو
سعيد الهيثم بن كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ

حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املأ من كتابه
حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها
يكنا ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب
قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز
لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي
الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بابن اخي طاهر العلوي حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن
محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي
واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألأ القمر
ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا
هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما
عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله
اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين



ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط
عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
او قال سائن وساير الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي
هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره
الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا
تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل
حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته عن [illegible]
فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي عليه السلام
عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزأ
لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته

في جزأ الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم
والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين بن وكيع
يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء
قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسئل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم
نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من
القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات

ولا تؤبن

ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه
بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة
ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال ويحفظون
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار
وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم
صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب (يقبل) الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى
حديث سفين بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله
عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما
يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه
شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه
القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم
امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى وعونه فصل
في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول
في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر
الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر

الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والاتركها معقوصة
ويروى عقيصة وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه قوله زهرة الحيوة
الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم
والامهق هو الناصع البياض والآدم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر
ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر
والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع فى حديث ام معبد
وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر اشكل
العين وانجل العين وهو الذى فى بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز فيها كما يوجد فى اسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس
بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما
ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معانى
اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه و
يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى
الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى
سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون

الحم

ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى
فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل
كنى به عن سعة العطا والجود وخمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم — كناية صح
وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اى
املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه — ولذلك صح
اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح
لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق
والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم
واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة
وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا
اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر
والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن
الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا — للصلوة صح
فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه
الحرم اى يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة
وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح

وقوله ولا يطلب الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم
وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستغفره
يستحقه وفي حديث آخر في وصفه له صلى الله عليه وسلم منهوس العقب
اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها الباب الثالث فيما
ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به
في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم
وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها و
حصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد
من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا
الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه حدثنا ابو الحسن الفرغاني
حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم هو ابن عقيل
عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن
ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني
في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون
السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية
فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني
في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال

وآدم

وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر
وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله
عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا
وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه
الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب
ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
ابن عبد المطلب عمه رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق •
ثم هبطت البلاد لا بشر • انت ولا مضغة ولا علق •
بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق •
تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق •

وروي عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما
رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي
وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة

وردت نار الخليل مكتتما • تجول فيها ولست تحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •
وانت لما ولدت اشرقت الارض • وضاءت بنورك الافق •
فنحن في ذلك الضياء وفي النور • وسبل الرشاد نخترق •

وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع
من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود وقيل السود العرب لان
الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم
وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
بين يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال
عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن
واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان
تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي
اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن
ابن عمر قال بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت
ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الارض مغفورا لك ولم اصنع
ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت
لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي قبلك وفي حديث آخر رواه حذيفة غيرك صح
بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل
الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب
واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي

المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من
الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله
الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة معنى هذا عند المحققين بقاء
معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها
الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا اخبارا
الى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما
ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي
سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا
منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد
حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد
بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان
آدم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن
ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء
وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان
الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال لمحمد انا
فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال
ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما
ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة
ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين وبشرى صح

حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق قلبي
ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا
وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي
رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان
سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال
في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين
عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت
رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت

نختم
فرجحتهم
قال اصل

انه

فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ويروى عن سريج بن يونس
انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها زيارة كل دار فيها احمد او محمد
اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس
في قوله وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن
ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله
الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب
اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه
وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين
وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد
رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود
ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم

قانع
قد رزقوا

لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا
وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله صلى الله
عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسرا من المناجاة والرؤية وامامة الانبيا
والعروج به الى سدرة المنتهى وما رآى من آيات ربه الكبرى ومن
خصايصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار وقال الله تعالى
والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة
من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد
الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان
ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم صلى الله

قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل
الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر
الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا
بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى
السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها
كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع

الی ربک فسله التخفیف فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم فقلت قد رجعت
الی ربی حتی استحییت منه قال القاضی رضی الله عنه جوّد ثابت رحمه الله هذا
الحدیث عن انس ما شاء ولم یات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فیه غیره
عن انس تخلیطا کثیرا لا سیما من روایة شریک ابن ابی نمر فقد ذکر فی اوله مجی
الملک له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما کان وهو صبی وقبل الوحی
وقد قال شریک فی حدیثه وذلک قبل ان یوحی الیه وذکر قصة الاسراء
ولا خلاف انها کانت بعد الوحی وقد قال غیر واحد انها کانت قبل الهجرة
بسنة وقیل قبل هذا وقد روی ثابت عن انس من روایة حماد بن سلمة
ایضا مجی جبریل الی النبی صلی الله علیه وسلم وهو یلعب مع الغلمان عند ظئره
وشقه قلبه تلک القصة مفردة من حدیث الاسراء کما رواه الناس فجوّد
فی القصتین وفی ان الاسراء الی بیت المقدس والی سدرة المنتهی کان قصة
واحدة وانه وصل الی بیت المقدس ثم عرج به من هناک فازاح کل اشکال
اوهمه غیره وقد روی یونس عن ابن شهاب عن انس قال کان ابو ذر
یحدث ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال فرج سقف بیتی فنزل جبریل
ففرج صدری ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلی حکمة وایمانا
فافرغها فی صدری ثم اطبقه ثم اخذ بیدی فعرج بنا الی السماء فذکر القصة وروی
قتادة الحدیث بمثله عن انس عن مالک بن صعصعة وفیها تقدیم وتاخیر
وزیادة ونقص وخلاف فی ترتیب الانبیاء فی السموات وحدیث ثابت
عن انس اتقن واجود وقد وقعت فی حدیث الاسراء زیادات نذکر منها نکتا
مفیدة فی غرضنا منها فی حدیث ابن شهاب وفیه قول کل نبی له مرحبا بالنبی
الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهیم فقالا له والابن الصالح وفیه من طریق
ابن عباس ثم عرج بی حتی ظهرت بمستوی اسمع فیه صریف الاقلام وعن
انس ثم انطلق بی حتی اتیت سدرة المنتهی فغشیها الوان لا ادری ما هی قال ثم ادخلت

الجنة وفی حدیث مالک بن صعصعة فلما جاوزته یعنی موسی بکی فنودی ما یبکیک
قال رب هذا غلام بعثته بعدی یدخل من امته الجنة اکثر مما یدخل من امتی وفی
حدیث ابی هریرة وقد رایتنی فی جماعة من الانبیاء فحانت الصلاة فاممتهم
فقال قائل یا محمد هذا مالک خازن النار فسلم علیه فالتفت فبدانی بالسلام
وفی حدیث ابی هریرة ثم سار حتی اتی بیت المقدس فنزل فربط فرسه الی
صخرة فصلی مع الملائکة فلما قضیت الصلاة قالوا یا جبریل من هذا معک
قال هذا محمد رسول الله خاتم النبیین قالوا وقد ارسل الیه قال نعم قالوا حیاه الله
من اخ وخلیفة فنعم الاخ ونعم الخلیفة ثم لقوا ارواح الانبیاء فاثنوا علی ربهم
وذکر کلام کل واحد منهم وهم ابراهیم وموسی وعیسی وداود وسلیمان ثم ذکر
کلام النبی صلی الله علیه وسلم فقال وان محمدا صلی الله علیه وسلم اثنی علی ربه
فقال کلکم اثنی علی ربه وانا اثنی علی ربی الحمد لله الذی ارسلنی رحمة للعالمین
وکافة للناس بشیرا ونذیرا وانزل علی الفرقان فیه تبیان کل شی وجعل
امتی خیر امة وجعل امتی امة وسطا وجعل امتی هم الاولون وهم الآخرون
وشرح لی صدری ووضع عنی وزری ورفع لی ذکری وجعلنی فاتحا وخاتما
فقال ابراهیم بهذا فضلکم محمد ثم ذکر انه عرج به الی السماء الدنیا ومن سماء الی سماء
نحو ما تقدم وفی حدیث ابن مسعود وانتهی بی الی سدرة المنتهی وهی فی
السماء السادسة الیها ینتهی ما یعرج به من الارض فیقبض منها والیها ینتهی
ما یهبط من فوقها فیقبض منها قال اذ یغشی السدرة ما یغشی قال فراش
من ذهب وفی روایة ابی هریرة من طریق الربیع بن انس فقیل لی هذه
سدرة المنتهی ینتهی الیها کل احد من امتک خلا علی سبیلک وهی
السدرة المنتهی یخرج من اصلها انهار من ماء غیر آسن وانهار من لبن
لم یتغیر طعمه وانهار من خمر لذة للشاربین وانهار من عسل مصفی وهی
شجرة یسیر الراکب فی ظلها سبعین عاما وان ورقة منها مظلة الخلق

فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل
وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية
محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى
قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي
خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات
وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال
ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع
علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت
المقدس وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت
الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى
فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب
طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب

السماء ورايت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفوقه الدر والياقوت ثم اوحى الله
تعالى الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال
الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر ثم قال اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر
جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح قال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله
عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي
ابن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في
حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه
اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب واذا خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال
انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب رحمه الله تعالى

في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها
علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره (التي كنا فيها صح)
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته تعالى
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن
بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم فصل ثم اختلف (بُعَيْد)
السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا
حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه
واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصة
ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف
والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس
وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن
جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى صح)
والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الى

الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له (باظهار)
بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا
ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا
والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية
وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا
عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان
مناما لقال بروحه ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان
مناما ما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد فيه
ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك
منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى
غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في
فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال (ذكر مجيئه)
في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق

وعن ام هانى قالت ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك
الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رايت بهذا الوادى ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن
اوس عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله
البارحة فى مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا ملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه
التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل ففتح صدرى ثم غسله بماء زمزم الى آخر
القصة ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة لقد رايتنى
فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسالتنى عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا
ما كربت مثله قط فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى حديث الاسرا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها فصل فى ابطال حجج من قال انها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الآية فسماها رؤيا قلنا قوله
سبحان الذى اسرى بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله تعالى فتنة
للناس يؤيد انها رؤيا عين واسرا شخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به
احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار
متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية فذهب بعضهم الى انها
نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم

انه

انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان
وهو نائم او اول حمله والاسرا به وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائما
فى القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته صلى الله
عليه وسلم ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان بعضه وقد
يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع
من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى
وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ورجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على
مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبيا حق
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب اهل الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله
ولا يصح هذا ان يكون فى وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له فى هذا
الاسرا حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم
وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه بينا انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر
مضطجع وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته
بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا الحديث انما هى
من رواية شريك عن انس فهى منكرة من روايته اذ شق بطنه فى الاحاديث
الصحيحة انما كان فى صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال فى الحديث
قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد البعث فهذا كله يوهن ما وقع

وقوله ايضا وهو نائم

نائم

في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب
مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
واما قول عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن
وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه
انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة
دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول
خلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت
والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على
انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه صلى الله عليه وسلم فصل واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه حدثني ابي وابو عبد الله
ابن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل

الصقلي

الصقلي حدثنا ثابت بن القاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله
ابن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق
انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب
ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية وذكر الحديث وقال
جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما
رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه بعينيه وروى
عطا عنه انه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن
اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر
عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص
موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله
ابن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم
فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال
ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى
شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه
وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك
ابن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن

كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سأل
ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا
اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر
قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله
ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي
مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض
مشايخنا في هذا قال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي
ابو الفضل المصنف رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى
في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل
لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل
رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل
وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة

وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على
الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقد قيل لا تدركه الابصار لا تحيط به
وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل
هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم
بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس
فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت
لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة
لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم
تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى
ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت
نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى
الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي
وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف
القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد صلى الله عليهما
وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه
والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان
موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار
دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن

معرضة صح

انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن
محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا
يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل
له استدل من قال برؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا
على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا
صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص
اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ
محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروي نورٌ انّى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي
نورانيٌّ اراه وفي حديثه الاخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله
وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نورٌ انّى اراه
اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل الحديث الآخر
حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلى
ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف
شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بيّن في الباب اعتُقِد ووجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى
فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي

الله عز وجل الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليهما وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن
جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا
ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وذكره
عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن
عباس وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء
عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي
حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء فقالوا هي ثلثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة
كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا
ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي
هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر بلا
ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم
لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع
ما يتشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه
فان صح في ذلك خبر احتمل عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به اعتمد
نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد

وجعل

سماع الكلام فسبحان من خص من يشاء بما يشاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات
فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من السدرة
المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب عز وجل
دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه
فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو
مقدم ومؤخر تدلى الرفرف قرب لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس
عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
وسمعت كلام ربي عز وجل وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء
وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا محمد صلى الله عليه وسلم
من ربه فكان كقاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه تعالى منه حتى
كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن
العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من
المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة
الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى

ما اوحى

بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه
وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه
ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول
واحسان قال الواسطي ومن توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه
من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب
قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد
صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي
وانافة المنزل والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة اي قربت بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول فصل في ذكر تفضيله في القيامة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا
حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم
على ربه ولا فخر ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة
واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم

يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه فى ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجا الناس اليه فى حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى

صح
فيدخلها

مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد ابن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم

فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد ابن محمد قالت حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه قال حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله

فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي
حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التورية انت خليل الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع
الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة
فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره
اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة اما اليك فلا
وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب
ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها
العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون
عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب
عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه

قيد خلنيها
حبيب
قال
ولا تكون

عندهما وما تخلل بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا
ولا يكون الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما وسلم بالمحبة
وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة
وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم
ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا
في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئته اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة
كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا •

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت
عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت

تبع

قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة
ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل
لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتبه الي
بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد
قالا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا
ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام

فامرهم

والحبيب يصل الحبيب

المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك
عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل
ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله
عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي
فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود
قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث
وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها
للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ما ورد عليك
في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل
وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجى منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام
المحمود الذي ذكره الله ثم قال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة

لاخذ بحلقة الجنة

فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده
في الشفاعة لهم فكلهم يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك تكمل
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد
يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي قلت صح
يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان رضي الله عنه
المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه
وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان
المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين
وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند بنظر ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار يرده فلا يجب ان
يلتفت اليه مع انه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به
امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة
وغيرهما دخل بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين حديث صح
والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته

واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل
الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي
اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث
كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى
فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي
ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق
فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية
فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن يلهمنيه صح
الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة فيقال
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب

ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه
فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي
فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله وفي رواية قتادة عنه قال
فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القرآن اي من حرم ووجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فتقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب
الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا
الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس
عنه عليه الصلاة والسلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري
لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد
ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع
حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق الارض عن جمجمته

ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من
تفتح له الجنة ولا فخر فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انيس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر
فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار ان شفاعته عليه الصلاة والسلام
ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر
وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن
فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلموا انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد
لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف لهم فيما سألوه وضمنت لهم
اجابة دعوة يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح
عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له
وانا اريد ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن
ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها

والحمد لله رب العالمين ولنذكر الان تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة صح

وادخر لهم هذه الدعوة ليوم القيمة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن
ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وسلم كثيرا فصل في تفضيله
في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائتي عليهما
قالا حدثنا ابو علي الغساني قال حدثنا النمري قال حدثنا ابن عبد المؤمن
قال حدثنا ابو بكر التمار قال حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن سلمة قال
حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة
فانها منزلة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان يكون انا هو فمن سال
الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة الوسيلة
اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة
اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي
اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله
ابن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلا من العسل وابيض
من الثلج ونحوه عن ابن عباس وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن
ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله تعالى اياه وعن حذيفة فيما ذكر
عليه الصلاة والسلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الآثار واجماع الامة

قال سعيد بن جبير رحمه الله والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله تعالى صح

كونه

كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي
قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا
ابن مثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت
ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال له والذي اصطفى موسى على البشر
فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد
كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه
الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه
سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم والغض منه
لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله تعالى عنه ما اخبر لئلا يقع في نفس
من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه
اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده

اذ ذهب مغاضبا صح

حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم
الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا
في الدنيا وذلك بثلثة احوال اما ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر — واشهر
او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع
الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء
الله سبحانه من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ
صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح
في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه
صلى الله عليه وسلم على امته وقيل قد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل
ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد
بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق
وهو المستعان لا اله الا هو فصل في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته
من فضيلته — نضيلته
من فضائله عليه الصلاة والسلام حدثنا ابو عمران موسى ابن ابي تليد الفقيه

حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن
وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه صلى الله
عليه وسلم احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا
فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده
يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم صلى الله عليه وسلم ويفتح عليه فيه
من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه
وبدائع آياته فن آخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد
الذي اتى في الكتاب وبشرت به الانبياء عليهم السلام فمنع الله تعالى
بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب او شك وكذلك محمد لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم
الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث
اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون
احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح
الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفين
ابن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال اول من تسمى محمد محمد بن سفين باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد

من الازد ومحمد بن سواءة ثم حمى الله عز وجل كل من تسمى به ان يدعي النبوة
او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون
المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره
في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله صلى الله عليه وسلم
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وعلى عقبي اي على زماني وعهدي
اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب
غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى
على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
قيل انها موجودة في الكتب وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه
مكي رحمه الله تعالى وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس
انه يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد رحمهم الله تعالى وذكر
غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول وقال وانا رسول
الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا
قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء
عليهم السلام قال داود صلى الله عليه اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وقد روى النقاش رحمة الله عنه صلى الله
عليه وسلم لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل

صح اصل قرف
وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق
عند ربهم ٥ وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون
الي يوم القيامة وقيل قدمي سنتي ع

وعبد الله

وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه هي ست محمد واحمد وخاتم
وعاقب وحاشر وماح وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى
المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال
في صفة امته صلى الله عليه وسلم انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم
ربه تبارك وتعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا
لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه
فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون
يرحمهم الرحمن يوم القيمة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية
نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم
وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى رضي الله عنهما وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي رحمه الله تعالى في حديثه
انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال
والقثم الجامع للخير وهذا الاسم هو في آل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم معلوم
وقد جاءت من القابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القران عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم
الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
وطه ويس والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف

2 وقيل الشفيع للمبين

كثيرة وسمات جليلة جرى منها في كتب الله تعالى المتقدمة وكتب انبيائه
عليهم السلام واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته صلى الله عليه وسلم بالمصطفى والمجتبى وابى القسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق
والمصدوق والهادى وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد
الغر المحجلين وخليل الله وحبيب الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب رحمه الله
البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم
فى الكتب السالفة مأذ مأذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم
والحاتم حكاه كعب الاحبار رحمة الله عليه قال ثعلب رحمه الله تعالى
فالخاتم الذى ختم الله تعالى به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا
صلى الله عليه وسلم ويسمى صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه صلى الله عليه وسلم ايضا فى التورية احيد روى ذلك عن ابن سيرين
رحمه الله تعالى ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا
فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه
القضيب الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند
الخلفا واما الهراوة التى وصف صلى الله عليه وسلم بها فهى فى اللغة العصا
وأراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاى
لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان

حاشية
قوله مأذ مأذ هو بضم الميم واشمام الهمزة بعدها ضمة بين الواو والالف سمعته من لفظ بعض من اسلم من اليهود وقال معناه طيب طيب كما ذكره المص رحمه الله تعالى

العرب واوصافه والقابه وسماته صلى الله عليه وسلم فى الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم صلى الله
عليه وسلم وروى عن انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما ولد له ابرهيم
رضى الله عنه جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابرهيم فصل
فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته
العلى صلى الله عليه وسلم تسليما قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه ما احرى
هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك مضمونها وامتزاجه
بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار
الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله
فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تبارك وتعالى خص كثيرا
من انبيائه عليهم الصلوة والسلام بكرامة خلعها عليهم من اسمائه سبحانه
كتسمية اسحق واسمعيل صلى الله عليهما بعليم وحليم وابرهيم صلى الله عليه بحليم
ونوحا صلى الله عليه بشكور وعيسى ويحيى صلى الله عليهما ببر وموسى صلى الله
عليه بكريم وقوى ويوسف صلى الله عليه بحفيظ عليم وايوب
صلى الله عليه بصابر واسمعيل صلى الله عليه بصادق الوعد كما نطق
به الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
وفضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه عليهم السلام بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال
الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ
فيها فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى
كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح
غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه وسلم

محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه صلى الله عليه وسلم فى زبور داود عليه السلام
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان رضى الله عنه بقوله
وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد ،
ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه صلى الله عليه وسلم
فى كتابه تعالى بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والالهيته
بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم بذلك فى كتابه بقوله حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
قل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن ومعناه هنا ضد
الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره
ورسالته او المبين عن الله سبحانه ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس
ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه صلى الله عليه وسلم
نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل القرآن وقال تعالى فيه وسراجا منيرا سمى صلى الله عليه وسلم بذلك
لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به
صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد
على عباده يوم القيمة وسماه صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
والله المستعان ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه
صلى الله عليه وسلم كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم

وقيل

وقيل جبريل عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعانى الاسم
صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذى كل شئ دونه وقال تعالى فى النبى صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
ووقع فى اول سفر من التورية عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله عليه
وسلم فى كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره صلى الله عليه وسلم اعداءه او لعلو
منزلته صلى الله عليه وسلم على البشر وعظيم خطره ونفى سبحانه عنه صلى الله عليه وسلم
فى القرآن جبرية التكبر التى لا تليق به صلى الله عليه وسلم فقال وما انت عليهم
بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشئ والعالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضى بكر بن
العلاء رحمه الله تعالى المامور بالسؤال غير النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل
الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم
والمسؤل الله تعالى فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
من قبل انه عالم على غاية من العلم بما علمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى
الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية

وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه تبارك وتعالى
وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى
الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته صلى الله عليه وسلم والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله سبحانه وتعالى او الناصر للحق او المبتدئ بهداية
الامة او المبتدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم صلى الله عليه وعليهم كما قال صلى الله
عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث الشكور ومعناه
المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف سبحانه
وتعالى بذلك نبيه نوحا صلى الله عليه فقال انه كان عبدا شكورا وقد
وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا
اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة
من ذلك لقوله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم فارادا الزيادة ومن اسمائه تعالى
العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه سبحانه ليس له اول ولا آخر وقال صلى الله عليه وسلم
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من
يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه
وعليهم وسلم تسليما ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه

صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما
ومن اسمائه تعالى في الحديث ثنا

القادر

القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه السلام ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره
الغافلون ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله
تبارك وتعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مؤمن
وقال الله عز وجل النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد
وصف الله تعالى بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن والتورية وامره بالعفو
فقال عز وجل خذ العفو وقال سبحانه فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل صلى الله
عليهما وسلم وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك
وقال في التورية في الحديث المشهور في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ
ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
سبحانه وتعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع
من الميل وقيل من التقويم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق
على غيره سبحانه وتعالى فهو في حقه صلى الله عليه وسلم بمعنى الدلالة ومن اسمائه تعالى
المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
صلوات الله وسلامه عليهم وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا

من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر
منه فقلبت الهمزة ها، وقد قيل ان قولهم في الدعا آمين اسم من اسماء الله تعالى
ومعناه بمعنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال تعالى مُطاعٍ ثَمَّ امين
وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشُهر به قبل النبوة وبعدها وسماه
صلى الله عليه وسلم العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله

ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القسم القشيري رحمهما الله تعالى
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم
انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع النبيين وسلم
ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث
وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي
المطهر من الذنوب وروح القدس ووقع في كتب الانبيا عليهم السلام
في اسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه
باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور
او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية صلى الله عليه
وعلى جميع النبيين وسلم تسليما ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال تعالى ان الله يبشرك
بيحيى ويبشرك بكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته
ونذيرا لاهل معصيته صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه جل وتعالى فيما ذكر بعض المفسرين

طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها انا اذكر نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من وساوس التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه
وهو ان يعتقد ان الله تعالى وجل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى
اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما
اطلقه الشرع على الخالق سبحانه وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
اذ صفات القديم سبحانه بخلاف صفات المخلوقين فكما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك بل
لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال
من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بيانا
وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون
لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا
كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم
القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على
جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم
فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي رحمه الله تعالى من اطمأن الى موجود

انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري
رحمة الله عليه حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله تعالى بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى
ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث
تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله
تعالى واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية
من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله ورحمته لا رب غيره

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه صلى الله عليه وسلم
من المعجزات وشرفه من الخصايص والكرامات قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها
وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين
لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير
آياته لتدل على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه تبارك وتعالى واتينا
منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها
بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة رحمهم الله تعالى واذا تأمل المتأمل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله ومشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به صلى الله عليه وسلم تسليما فرويناه

عن الترمذي وابن قانع وغيرهما رحمهم الله تعالى باسانيدهم ان عبد الله بن
سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن
محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي
ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة
الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه الحديث
وعن ابي رمثة التيمي رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى
مسلم وغيره رحمهم الله تعالى ان ضمادا رضي الله عنه لما وفد النبي صلى الله
عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد رحمه الله
تعالى كان رجل منا يقال له طارق رضي الله عنه فاخبر انه راى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال
بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل
لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت
وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان رضي الله عنه
لما بلغه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى

قلنا بكم

رضي الله عنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به
ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويُغلب فلا يضجر
ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي وقال نفطويه رحمه الله تعالى في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
يكاد منظره يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة
رضي الله عنه في هذا المعنى لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن
وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة
في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
ودون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته سبحانه في بعض الأنبياء صلى الله
عليهم وذكره بعض أهل التفسير رحمهم الله تعالى في قوله عز وجل وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه عز وجل ويكون ذلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة
مع الأنبياء صلوات الله وسلامه على جميعهم أو من جنسهم كالأنبياء عليهم السلام
مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
صلى الله عليهم وسلم بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع
ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق
عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه
خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله
تعالى والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على
هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون
نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما
أطلعه الله تعالى عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو

ما ارتفع من الأرض معناه أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة
فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى
مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله سبحانه له بالإبلاغ إلى من أرسله
إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا تبع بعضهم
بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه واختلف العلماء
رحمهم الله تعالى هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء وأصله
من الإنباء وهو الإعلام واستدلوا بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما معا الإرسال قال ولا يكون النبي
إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا
في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الترفع
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسل وهو
الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين
ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا
من رسول إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول
من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار
والصحيح الذي عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول
الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم وفي حديث أبي ذر
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون
ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر أولهم آدم عليه وعلى جميعهم
السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا
للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل
وأما الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه
من ربه عز وجل بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي

وسمي الخطُّ وحياً لسُرعةِ حركةِ يدِ كاتبهِ ووحي الحاجبِ واللحظِ سُرعةُ اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبّحوا بُكرةً وعشيّاً اي اَوْمَاَ ورَمَزَ وقيل كتب
ومنه قولهم اَلْوَحَا اَلْوَحَا اي السُّرعةَ وقيل اصل الوحي السِّرُّ والاخفاء ومنه سمّي
الالهام وحياً ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي
يُوَسْوِسُون في صُدُورِهِم ومنه قوله تعالى واوحينا الى امّ موسى اي اُلْقِي في قلبها
وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشرٍ ان يُكَلِّمَهُ الله الا وحياً اي بما يلقيه
في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا
عليهم السلام مُعجِزَةً هو اَنّ الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين
ضرب هو من نوع قُدرَةِ البشر فعجزوا عنه فَتَعْجِيزُهُم عنه فعلٌ لله تعالى دالٌّ على
صدق نبيه كصرفهم عن تمنّي الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن
على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حيّةً واخراج ناقة من صَخرةٍ وكلام شجرة ونبع الما
من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احدٌ الا الله سبحانه وتعالى
فكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه من فعلِ الله تعالى وتحدّيهِ مَن يُكذّبه
ان يأتي بمثله تعجيزٌ له واعلم ان المعجزاتِ التي ظهرتْ على يد نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ودلائل نُبُوّتِهِ وبراهين صدقِهِ من هذين النوعين معاً وهو صلى الله
عليه وسلم اكثر الرُّسُلِ معجزةً وابهرهم آيةً واظهرهم بُرهاناً كما سنُبيِّنه وهي
في كثرتها لا يُحيطُ بها ضبطٌ فانّ واحداً منها وهو القرآن لا يُحصى عددُ معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدّى بسورة
منه فَعَجِزَ عنها قال اهل العلم رحمهم الله تعالى واقصر السور انا اعطيناك الكوثر
فكل آيةٍ منه او آيات بعددها وقدرِها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على
ما سنفصّله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على
قسمين قسم منها عُلِمَ قطعاً ونُقِلَ الينا متواتراً كالقرآن بلا مِرْيَةٍ ولا خلاف بمجيء

النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر
هذا منكرٌ معاندٌ جاحدٌ فهو كانكاره وجودَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما
جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمّنه من معجزٍ معلومٌ
ضرورةً ووجه اعجازه معلوم ضرورةً ونظراً كما سنشرحه قال بعض
ائمتنا رحمهم الله تعالى ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله
عليه وسلم آيات وخوارق عادات ان لم يَبلُغْ واحدٌ منها معيناً القطعَ
فيبلغه جميعُها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن
ولا كافر انه جرتْ على يديه صلى الله عليه وسلم عجائب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله سبحانه وتعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله
تعالى وان ذلك بمثابة قوله عز وجل صَدَقْتَ فقد عُلم وقوع مثل
هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورةً لاتفاق معانيها كما نعلم ضرورةً
جودَ حاتمٍ وشجاعةَ عنترةَ وحِلمَ الاحنفِ لاتفاق الاخبار الواردة عن كل
واحد منهم على كَرَمِ هذا وشجاعة هذا وحِلمِ هذا وان كان كل خبر في نفسه لا يوجب
العلمَ ولا يُقطَعُ بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورةِ والقطع
وهو على نوعين نوعٌ مشتهرٌ منتشرٌ رواه العدد وشاع الخبرُ به عند المحدثين
والرُّواةِ ونَقَلَةِ السِّيَرِ والاخبار كنبع الما من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختُصَّ به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسيرُ ولم يشتهر اشتهارَ
غيرِهِ لكنه اذا جُمِعَ الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وانا اقول صَدْعاً بالحق ان كثيراً
من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومةٌ بالقطع اما
انشقاقُ القمر فالقرآن نصَّ بوقوعه واخبر عن وُجُودِهِ ولا يعدل عن ظاهرٍ
الا بدليلٍ وجاء برفع احتمالِهِ صحيحُ الاخبارِ من طُرُقٍ كثيرةٍ فلا يوهن عزمَنا
خلافُ اَخرَقَ مُنْحَلِّ عُرَى الدين ولا يُلتفتُ الى سخافة مُبتدعٍ يُلقي الشكَّ

على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة
نبع الما وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد
الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواها الكافة عن الكافة متصلا
عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في مواطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
رضي الله عنهم مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما
رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو
كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشيا رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله
عليه وسلم كما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على
باطل لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها
وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة
واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع
الايام الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا والطاعن
عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب
وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء
عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمة الله
عليهم وما اوجب عندي قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف

والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد
ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر ان بغداد موجودة وانها
مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك رحمه الله تعالى بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد
والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي رحمه الله
يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص
في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وان ابا حنيفة رحمة الله عليه يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عما سواه وعند ذكر
احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة
وجوه اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم غيرهم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله سبحانه وتعالى
لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب
ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب

ويذهبون الإحن ويهيجون الزمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعل البنان
ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع
السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية
وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا
لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا
في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت
آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل
مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في
الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع
ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا
الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب
واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا اجمعين
ام يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
الى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك
ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع

التي

الشيء الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب
كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل صلى الله عليه
وسلم يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر
مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا
فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز
منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد رحمه الله تعالى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه
خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يوما نايما في المسجد فاذا هو بقايم
على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم
فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم صلى الله عليه من احوال الدنيا

والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون وحكى الاصمعي رحمه الله تعالى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك
الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل
من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية وقوله تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الآية واشباهها من الآي
بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها
جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر امتلأت الدواوين من بعض ما استفيد
منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها
الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض
والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف صلى الله على نبينا وعليه
وسلم على طولها ثم اذا ترددت قصة اختلفت العبارات عنها على كثرة

ترددها

ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن
وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من تردادها ولا معاداة لمعادها
فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب
الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي
جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله
ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم
وتولهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم
او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة
وقرأ صلى الله عليه وسلم عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال
والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله
ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه
[margin: بخنقه سا]
ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال
ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا
شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق
بين المرء وزوجه والمرء وابيه والمرء واخيه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني
لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث مثله
وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت

باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق
الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع
اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة
المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تكلم في علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة
اهل السنة رحمة الله عليهم في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته
ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون
في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنع اقدار الخلق عليها كاحياء
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه الى
انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم فيما يصح ان يكون
في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية
واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الآناف واباء الضيم

بحيث

بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر
وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام
وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء
نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد
بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه
فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات
وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله سبحانه وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله وقوله تبارك وتعالى وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله عز وجل اذا جاء نصر الله
والفتح الى آخرها فكان جميع هذا كما قال تبارك وتعالى فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى
المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله عز وجل انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير
كلمة من كلماته ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله تعالى
ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله

بايديكم الآية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله عز وجل يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله سبحانه وتعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه رضي الله عنهم بان الله تعالى كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه صلى الله عليه وسلم فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة والحمد لله

فصل الوجه الرابع ما انباه به من اخبار القرون الماضية والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء صلى الله عليهم مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبا وبدء الخلق وما في التورية

والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند خاسر ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف عورته فقيل له قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج رحمه الله
تعالى فی هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبی صلى الله عليه وسلم
والذی نفسی بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنی يموت مكانه فصرفهم
الله تعالى عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة
ما اوحی اليه اذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل
ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد
الاصيلی رحمه الله تعالى من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم
امر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا
موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث
وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم
آية المباهلة بقوله سبحانه فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منه ورضوا بالجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبی وانه ما لاعن قوما نبی
قط فبقی كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم فی ريب مما نزلنا على
عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم سبحانه انهم لا يفعلون كما كان
وهذه الآية ادخل فی باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فی التی
قبلها فصل ومنها الروعة التی تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه
والهيبة التی تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهی على المكذبين به
اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته
اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال الله تبارك وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم

الى ذكر

الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا
شی خص به انه يعتری من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روی عن نصرانی
انه مر بقاری فوقف يبكی فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه
الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول
وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكی فی الصحيح عن جبير بن مطعم رضی الله عنه
قال سمعت النبی صلى الله عليه وسلم يقرأ فی المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الآية ام خلقوا من غير شیء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبی
ان يطير وفی رواية وذلك اول ما وقر الاسلام فی قلبی وعن عتبة
ابن ربيعة انه كلم النبی صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليه حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فم النبی صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفی
رواية فجعل النبی صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبی صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدری بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال
والله لقد كلمنی بكلام والله ما سمعت اذنای بمثله قط فما دريت ما اقول له
وقد حكی عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها
عن ذلك فحكی ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبی
يقرأ وقيل يا ارض ابلعی ماءك ويا سماء اقلعی فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا
لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغا فی زمنه فحكی انه رام شيئا من هذا فنظر فی سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترته خشية ورقة حملته
على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر

وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وساير
معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها
والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام
وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته ظاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم
من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر
فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على
عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة رضي الله عنهم
في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب
على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره
من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى
عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلما ولا تزيغ به الاهواء
ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد
العرب عامة ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة قبل نبوته بمعرفتها
ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق

الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون
بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله عز وجل اسمه ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان
قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا تخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس
بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط
ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه
لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ
الاولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل
عليك توراية حديثة تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب رحمه الله تعالى عليكم بالقرآن
فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال سبحانه هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع
فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج
بنظم القرآن وحسن رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده

ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم
اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الآذان واحلى في الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وساير الامم لا يحفظ كتابها الواحد منهم
فكيف الجماء على مرور الاعوام عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن
التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد
وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله
سبحانه لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا عليهم السلام كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات
القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة
لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه
الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قد ذكرنا عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها
وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تبارك وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة رحمهم الله تعالى على
وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله
حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد
حدثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابرهم عن معمر عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة
فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد رحمه الله تعالى ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الاعمش رحمة الله عليه بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال
حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان
سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتي من بلد
آخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ينظروا
ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهولاء اربعة عن عبد الله رضي الله
عنهم وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير ابن مطعم رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه
من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس رضي الله عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية
فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حرا بينهما رواه عن انس قتادة وفي
رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت

فصل

الساعة ورواه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد رحمهما الله
تعالى ورواه ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رحمهما الله تعالى
ورواه ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد رحمه الله تعالى ورواه عن حذيفة رضي الله عنه
ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي رحمة الله عليهما واكثر
طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه
لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل
الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع
اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد
ما هو من مقابليهم من اقطار الارض ويحول بينهم وبينه سحاب وجبال ولهذا
نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر
كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به
حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج
الطحاوي رحمه الله في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس رضي الله عنها من
طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي
رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه في طاعتك
وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء رضي الله عنها فرايتها غربت
ثم رايتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء

في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي رحمه الله
تعالى ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسماء رضي الله عنها لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما
كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم تسليما

قال المؤلف رحمه الله تعالى اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث
نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم انس
وابن مسعود وجابر حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي
عيسى بن سهل حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى
حدثنا يحيى حدثنا ملك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن ملك
رضي الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس
الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال
فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى فرغوا من عند آخرهم ورواه
ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال
زهاء ثلث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانون ونحوه
عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه

في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر رضي الله عنهما وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد
الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امره قال فرأيت الماء يفور من بين
اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي رحمه الله تعالى اتي النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة
ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون
قال الترمذي رحمه الله تعالى وفي الباب عن عمران بن حصين رضي الله عنهما
ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا
ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له
ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته

وابتعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك رحمه الله تعالى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
ابن الاكوع رضي الله عنهما وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة
وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على شفاها قال البراء رضي الله عنه واتي بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة رضي الله عنه فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا
انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من رواية ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس
حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة رضي الله عنه وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملأوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروي مثله عمران بن حصين رضي الله عنهما وذكر الطبري رحمه الله
حديث ابي قتادة رضي الله عنه على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء رضي الله عنهم وذكر حديثا
طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلث مائة
وفي كتاب مسلم رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة رضي الله عنه
احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث

عمران بن حصين رضي الله عنهما حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم عطش في بعض اسفاره فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما
يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملأوا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا الا ملأوه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة
من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه قال قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في
قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله
عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه فرغب ابوبكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعا
فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ولم تجاوز
العسكر وعن عمرو بن شعيب رحمه الله تعالى ان ابا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عنده ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي العذري
حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير
عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم ومن ذلك حديث

ابي طلحة

ابي طلحة رضي الله عنه المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او تسعين رجلا
من اقراص من شعير جاء بها انس رضي الله عنه تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت
وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر رضي الله عنه فاقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر
سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم
يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد
امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان
في الاناء وحديث ابي ايوب رضي الله عنه انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد
حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب رضي الله عنه فاكل من طعامي مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوي سواد بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلثين والمائة الا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا

مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطع قال سلمة رضي الله عنه فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء الا ملاوه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي
صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة رضي الله عنهم فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها
اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا منه
حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم حين ابتنى بزينب رضي الله عنها امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت
حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه
وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان
وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة ومثلها
ان القوم كانوا زهاء ثلث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن علي ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي الله
عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه
رضي الله عنهن صحفة صحفة ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله
ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض
من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير رضي الله عنه ومثله

من رواية

من رواية النعمن بن مقرن رضي الله عنه الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه رضي الله عنهما بعد موته وقد كان
بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى
فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي
رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة
رضي الله عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود قال فأتني به فادخل يده صلى الله عليه وسلم
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة
كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله عنهم
فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق
في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان
بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو
اهل الصفة رضي الله عنهم قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت
اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم
قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له
مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
رضي الله عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح

الشاة فلا تبعد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة
وجعل فضلتها في ذلو خالد رضي الله عنه ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا
وافضلوا ذكر خبره الدولابي رحمه الله تعالى ومن حديث الآجري رحمه الله تعالى
في النكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بلالا رضي الله عنه بقصعة من اربعة امداد او خمسة ثم بذبح جزور لوليمتها قال
فاتيته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى
فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه رضي الله عنهن
وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلث مائة حتى ملأوا الصفة
والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله
عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم رواه عنهم اضعافهم من التابعين
ثم من لا يعد بعدهم رحمهم الله تعالى واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة
لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن
ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي
حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد

قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت انه كما قال ثم
رجعت الى مكانها وعن بريدة رضي الله عنه سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها
وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك
يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك
فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن
من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما ففعلت فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رضي الله عنهما
نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله

فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت
ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن ان تأتين
لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه
بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده
لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة
رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين
وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي
رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله
في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا رضي الله عنه وذكر
اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت
ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث
ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال المؤلف رحمه الله تعالى فهذا
ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم
سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن
ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل قال للنبي صلى الله عليهما وسلم

ورآه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق
رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة رضي الله عنه مثل
هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت
وعن الحسن رحمة الله عليه انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه عز وجل من قومه
وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ائت
وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني
آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة
اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي رحمه الله تعالى وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين
الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضي الله عنهم بضعة عشر
منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة
والمطلب بن ابي وداعة رضي الله عنهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع

منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس
رضي الله عنه حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس
لما رأوا به وفي رواية المطلب وأبي رضي الله عنهما حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل
هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله
عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق
عن انس رضي الله عنهم وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره
او جعلت في السقف وفي حديث ابي رضي الله عنه فكان اذا صلى النبي صلى الله
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض
وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه
الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة
رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص
وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي
صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله
واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن رحمة الله عليه اذا
حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه عن جابر رضي الله عنه
حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح رحمهم الله تعالى ورواه عن انس بن مالك
رضي الله عنه الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة رحمهم الله تعالى ورواه عن ابن عمر

رضي الله

رضي الله عنهما نافع وابو حية رحمهما الله تعالى ورواه ابو نضرة وابو الوداك رحمهما الله
تعالى عن ابي سعيد رضي الله عنه وعمار بن ابي عمار رحمه الله تعالى عن ابن عباس
رضي الله عنهما وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد
رضي الله عنه ورحمهم وكثير بن زيد رحمه الله عن المطلب رضي الله عنه وعبد الله
ابن بريدة رحمه الله عن ابيه رضي الله عنه والطفيل بن ابي رحمة الله عليه
عن ابيه رضي الله عنه قال المؤلف رحمه الله تعالى فهذا حديث كما تراه خرجه
اهل الصحيح رحمهم الله تعالى ورواه من الصحابة رضي الله عنهم من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن
اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل
هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القسم انا ابو الحسن القابسي حدثنا
المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد
الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد
ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه وذكر
انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة
ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود
وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال

السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه اذ اشتمل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم
بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد
عن ابيه رحمة الله عليهما مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه السلام
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله
عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف
بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة
رضي الله عنه في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين رضي الله عنهم وفي
حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ايضا مثله وذكر عشرة وزاد لنفسه
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله
وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما
قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير
المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان
حول البيت ستون وثلث مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى
وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج

تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا
له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء اليه فصل في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن
عبد الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل
الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده حدثنا ابو العلا احمد بن عمران
حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في محفل من اصحابه رضي الله عنهم اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله قال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهور عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب

من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه
وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك
وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير
في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل
اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك
وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس رضي الله عنه وانه كان
صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضي الله
عنه وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد
رضي الله عنه وقد روى ابن وهب رحمه الله تعالى مثل هذا انه جرى لابي سفين
ابن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم
فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي
جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضي الله عنه لما تعجب من كلام ضماد
صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط
فقال يا عباس تعجب من كلام ضماد ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه رضي الله
عنه وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف

بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي امانتك عنك ويردها الى
اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حائطا انصاريا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار رضي الله عنهم
وفي الحائط غنم فسجدت له ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن
ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن ابي ملك وجابر بن عبد الله ويعلى بن
مرة وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك
بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء لا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه وفي خبر آخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم
حتى ماتت ذكره الاسفرائيني رحمه الله وروى ابن وهب رحمه الله تعالى
ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا بالبركة وروي
عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله تعالى شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته
وامر حمامتين فوقفتا في فم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله

ابن قرط رضي الله عنه قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة رضي الله عنها كان
النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها
فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنه اذ وجهه الى معاذ رضي الله عنه باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول
صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق
واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها
فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي من كلام
الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه رضي الله عنهم فيضرب عليهم الباب
براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا
وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلث مائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع رضي الله عنه املكها وما اراك فربطها
فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام

الى الصلوة

الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه
الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم
في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث
في هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة رحمهم الله
فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا
واذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن
يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة
فمات بشر بن البراء رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت
الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس رضي الله عنه وفيه
قالت اردت قتلك فقال صلى الله عليه وسلم ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا
نقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض
لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم
يعاقبها وفي رواية الحسن رحمه الله ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية
ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق رحمه الله
وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن انس رضي الله عنه انه قال فما زلت
اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه مازالت اكلة خيبر
تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق رحمه الله تعالى ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله
تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث رحمهم الله تعالى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك
عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم دفعها لاولياء بشر بن البراء رضي الله عنهم فقتلوها وكذلك
اختلفوا في قتله صلى الله عليه وسلم للذي سحره قال الواقدي رحمه الله وعفوه
صلى الله عليه وسلم عنه اثبت عندنا وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قتله
وروى الحديث البزار عن ابي سعيد رضي الله عنه فذكر مثله الا انه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا احدا قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة
رحمهم الله تعالى وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر رحمهم الله في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف
واصوات يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى
وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي ايضا هذا عن
شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود
الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها فاما اذا كانت
عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي
خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخلق

لها فما وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد
من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي
قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب
رضي الله عنه رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد
فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم
راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن رحمة الله عليه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها
ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما
وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي
وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم
ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك صلى الله عليه وسلم رجاء
ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب
عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري رحمه الله
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت رضي الله عن جميعهم وذكر عن النعمان بن
بشير رضي الله عنهما ان زيد بن خارجة رحمه الله خر ميتا في بعض ازقة المدينة
فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا

كشف عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان
القدير على ما يشاء لا اله الا هو فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن
علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو
محمد بن النحاس حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن
محمد بن اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقصة احد بطولها قال قالوا وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة رضي الله عنه عاصم
ابن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري
عن قتادة رضي الله عنهما وبصق صلى الله عليه وسلم على اثر سهم في وجه ابي
قتادة رضي الله عنه في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى
النسائي رحمه الله عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله
ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم
اني اسالك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى
ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره
وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي
عن حبيب بن فديك ويقال فويك رحمهم الله ان اباه ابيضت عيناه فكان

لا يبصر بهما

لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل
الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين رضي الله عنه يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة
عبد الله بن انيس رضي الله عنه فلم تمد وتفل صلى الله عليه وسلم في عيني علي رضي الله عنه
يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث صلى الله عليه وسلم على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يوم خيبر فبرات وفي رجل زيد بن معاذ رضي الله عنه
حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرات وعلى
ساق علي بن الحكم رضي الله عنه يوم الخندق اذ انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن
فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفراء رضي الله عنه فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب رحمه الله تعالى
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف رضي الله عنه اصيب يوم بدر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته صلى الله عليه وسلم امراة من خثعم معها
صبي به بلاء لا يتكلم فاتي صلى الله عليه وسلم بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن
ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم
صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات القدر على
ذراع محمد بن حاطب رضي الله عنهما وهو طفل فمسح صلى الله عليه وسلم عليه ودعا له
وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي رضي الله عنه سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال
يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته صلى الله عليه وسلم جارية طعاما وهو ياكل

فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القي عليها من الحيا ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها فصل في اجابة دعائه
صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقرائتي عليه حدثنا ابو القسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابي الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة
عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله
له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة رحمه الله
قال انس رضي الله عنه فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون
اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن
لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة
بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا صلى الله عليه وسلم لمعوية رضي الله عنه بالتمكن في البلاد
فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان يجيب الله عز وجل دعوته فما دعا

لاحد الا استجيب له ودعا صلى الله عليه وسلم ان يعز الاسلام بعمر رضي الله عنه او بابي جهل
فاستجيب له صلى الله عليه وسلم في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة منذ
اسلم عمر بن الخطاب واصاب الناس في بعض مغازيه صلى الله عليه وسلم
عطش فسأله عمر رضي الله عنه الدعا فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا صلى الله عليه وسلم في الاستسقا فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا
وقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم بارك له في شعره
وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال صلى الله
عليه وسلم للنابغة رضي الله عنه لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي
رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما
اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد رضي الله عنه بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله لعروة بن ابي الجعد
رضي الله عنه فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري رحمه الله في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي
مثل هذا لغرقدة ايضا رضي الله عنه وندت له صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا
فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم لام ابي هريرة
رضي الله عنهما فاسلمت ودعا صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان يكفى
الحر والقر فكان رضي الله عنه يلبس في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته
رضي الله عنها الله ان لا يجيعها فما جاعت بعد وساله صلى الله عليه وسلم
الطفيل بن عمرو رضي الله عنه آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه

فقال يا رب خاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش
فدعا لهم فسقوا ودعا صلى الله عليه وسلم على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه
فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه وسلم
على صبي قطع عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل رآه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه وسلم لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فاكله الاسد وقال صلى الله عليه وسلم لامراة اكلك الاسد فاكلها
وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعائه صلى الله
عليه وسلم على قريش حين وضعوا السلى على رقبته صلى الله عليه وسلم وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا صلى الله عليه وسلم
على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم
اي لا يقراه صلى الله عليه وسلم فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري
فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه الحجارة الصد جانب الوادي
وجحده صلى الله عليه وسلم رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة رضي الله عنه
للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل
وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة
وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد حدثنا
ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا

يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان اهل
المدينة فزعوا فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة رضي الله عنه كان
يقطف او به قطاف وقال غيره يبطا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان
بعد لا يجارى ونخس صلى الله عليه وسلم جمل جابر رضي الله عنه وكان قد اعيى
فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس
لجعيل الاشجعي رضي الله عنه خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة رضي الله عنه فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات
من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد
بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها
اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القسم
ابن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة
فيها فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه
في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار انس
رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر صلى الله عليه وسلم على ماء فسال
عنه فقيل له بيسان وماؤه ملح فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب
من المسك واعطى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما لسانه
فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك رضي الله عنها عكة
تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم

موضع بالحجاز

الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمناً فيأتيها بنوها يسئلونها الادم
وليس عنده شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمناً فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان
صلى الله عليه وسلم يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتب
مواليه على ثلث مائة ودية يغرسها لهم كلها يعلق ويطعم وعلى اربعين اوقية
من ذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها
غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار رحمه الله فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه صلى الله عليه وسلم
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل رضي الله عنه
سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت
آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظميت
واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان رضي الله عنه وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك
عشراً ومن خلفك عشراً فاذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه
حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه صلى الله عليه وسلم لعكاشة رضي الله عنه جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فصار في يده سيفاً صارماً
طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم احد وقد ذهب سيفه
عسيب نخل فرجع في يده سيفاً ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه

الحوامل

الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معوية بن ثور وشاة انس وغنم
حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد رضي الله عنهم ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم اصحابه
رضي الله عنهم سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه
فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم
على راس عمير بن سعد رضي الله عنه وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك رضي الله عنهما
وكان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت صلى الله عليه وسلم
الدم عن وجه عائذ بن عمرو رضي الله عنه وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت
له رضي الله عنه غرة كغرة الفرس ومسح صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن زيد
الجذامي رضي الله عنه ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان رضي الله
عنه يدعى الاغر ويروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه
ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه
بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع صلى الله عليه وسلم يده
المباركة على راس حنظلة بن حذيم رضي الله عنه وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح صلى الله عليه وسلم في وجه زينب بنت ام سلمة رضي الله عنها
نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم
على راس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره رضي الله عنه وعلى غير واحد من
الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه صلى الله عليه وسلم رجل به ادرة فامره
ان ينضحها بماء من عين مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس رحمه الله لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم

من رواية

ومسح صلى الله عليه وسلم وجه آخر فما زال
على وجهه رضي الله عنه نور

باحد به شيء فصكّ في صدره الا ذهب المسّ والمسّ الجنون ومجّ صلى الله عليه وسلم
في دلو من بئر ثم صبّ فيها ففاح منها ريح المسك واخذ صلى الله عليه وسلم
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة رضي الله عنه النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي رضي الله عنه شيئا بعد
وما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب فكثير وضرب صلى الله عليه وسلم
صدر جرير بن عبد الله رضي الله عنه ودعا له وكان ذكر انه لا يثبت على الخيل فصار
من افرس العرب واثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
رضي الله عنه وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع
على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال
ابو بكر حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك
الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء
وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا
رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه
ثلث مائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه
علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة رحمهم الله ما اعلم صلى الله عليه وسلم به اصحابه رضي الله عنهم

مما وعدهم

مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله عز وجل وان المدينة
ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد يومه وما يفتح الله تعالى
على امته صلى الله عليه وسلم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم
وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانه ستكون لهم
انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع
اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله
باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب
كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده
وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم
ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له صلى الله عليه وسلم الارض
فاري منها مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر
طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني رحمه الله الى انهم العرب
لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر عن ابي امامة رضي الله عنه
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله عليه وسلم

بملك بني امية وولاية معوية رضي الله عنه ووصاه واتخاذ بني امية مال الله
دولاً وخروج ولد العباس رضي الله عنه بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته
من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار كالخوارج ممن عاداه رضي الله عنه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال صلى الله
عليه وسلم يقتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان
يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو
السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما
وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه رضي الله عنهن وانه يقتل حولها قتلى
كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى
الى البصرة وان عمارا رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب
معوية رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم في قزمان
وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم
في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة رضي الله عنهم آخركم موتا
في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا
هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال صلى الله عليه وسلم في حنظلة
الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه
خرج جنبا واعجلته الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضي الله عنهم ووجدنا رأسه
يقطر ماء وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر
في قريش ما اقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة رضي الله عنها

اول

اول اهله لحوقا به وانذر صلى الله عليه وسلم بالردة وبان الخلافة بعده صلى الله عليه
وسلم ثلثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما
وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية وفسادا في الامة واخبر صلى الله عليه
وسلم بشان اويس القرني رحمه الله وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها
وسيكون في امته صلى الله عليه وسلم ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث
آخر ثلثون رجلا كذابا احدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله
وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال صلى الله عليه
وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي من بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن
وقال صلى الله عليه وسلم لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال صلى الله عليه
وسلم هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضي الله عنه راويه
فلو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر صلى الله عليه وسلم بظهور
القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار رضي الله عنهم
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر صلى الله عليه وسلم بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي
فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه
ابدا وانه صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم واخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد صلى الله عليه وسلم من سكنى البصرة
وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا
لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته صلى الله عليه وسلم

فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال صلى الله عليه
وسلم لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضي الله عنه
فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم صلى الله
عليه وسلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان
كتاب حاطب رضي الله عنه الى اهل مكة وبقضية عمير رضي الله عنه مع صفوان
حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله
عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم
واخبر صلى الله عليه وسلم بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل رضي الله عنهم
بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم صلى الله عليه وسلم بانه سيقتل
ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر
فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه ان
ابني هذا سيد وسيصلح الله تعالى به بين فئتين ولسعد رضي الله عنه لعلك تخلف
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون. واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل اهل
مؤتة رضي الله عنهم يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر واز يد وبموت النجاشي رحمه الله
تعالى يوم مات وهو بارضه واخبر صلى الله عليه وسلم فيروز رضي الله عنه اذ ورد
عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم
واخبر صلى الله عليه وسلم ابا ذر رضي الله عنه بتطريده كما كان ووجده صلى الله عليه وسلم
في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال
فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه رضي الله عنه وحده وموته وحده واخبر
صلى الله عليه وسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب
رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين رضي الله عنه
بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن

صوحان

صوحان رضي الله عنه يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال
صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وطعن سعد رضي الله عنهم وقال
صلى الله عليه وسلم لسراقة رضي الله عنه كيف بك اذا البست سواري كسرى
فلما اتي بهما عمر رضي الله عنه البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال صلى الله عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل
والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال صلى الله عليه وسلم
سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد وهو شر لهذه الامة من فرعون لقومه
وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في سهيل بن عمرو وعسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر رضي الله عنه يوم بلغه موت
النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم رضي الله عنه
وقال صلى الله عليه وسلم لخالد رضي الله عنه حين وجهه لاكيدر انك تجده
يصيد البقر فوجدت هذه الامور في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن
عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر
الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر
وانه القي في بير ذروان فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة
واعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها
على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
صلى الله عليه وسلم ووصفه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر
عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان ذلك كله كما قال صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة صح

الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها
وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة
ويحتمل هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما
اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة
رحمة الله عليهم فصل في عصمة الله عز وجل له صلى الله عليه وسلم
من الناس وكفايته من اذاه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل والله يعصمك
من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سبحانه اليس الله
بكاف عبده قيل محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال جل اسمه انا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر وقال تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية اخبرنا القاضي ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد
ابن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي حدثنا ابو يعلى البغدادي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا
عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا الحرث (الحارث) بن عبيد عن سعيد
الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
نزل منزلا اختار له اصحابه رضي الله عنهم شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط
سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط
سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم

بكاف عبده

عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية
انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم لقضاء
حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه غورث بن الحرث وان
الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين
ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت انه ملك واسلمت وقيل
وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الاية وفي رواية الخطابي رحمه الله تعالى ان غورث بن الحرث المحاربي
اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا
سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين
كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان
فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد رحمه الله تعالى قال كانت حمالة
الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها
كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق رحمه الله تعالى عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله تعالى مع زوجها من الذم اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه
وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر رضي الله عنه
واخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص رضي الله عنه تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم

حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه
تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا
منزله فتسمعنا له فافتتح فقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان من مقدمات اسلام عمر
رضي الله عنه ومنها العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته صلى الله
عليه وسلم قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله عز وجل على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم
وخلص منهم وحمايته صلى الله عليه وسلم عند رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال
امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت
قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم مع
سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه
صلى الله عليه وسلم وفي ابي بكر رضي الله عنه الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه
حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى اذا سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يلتفت وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية
الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم
بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل
ابو بكر رضي الله عنهما واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك

احدا يلحق بهم فانصرف رضي الله عنه يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال
لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب
على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء صلى الله عليه وسلم
فيما ذكر ابن اسحق وغيره رحمهم الله تعالى ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون اليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل
يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر
انه عرض لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي رحمه الله تعالى
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله تعالى
على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى
نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين
ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق وغيره في قصته صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني
قريظة في اصحابه رضي الله عنهم فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن
جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى
المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمت الله عليكم اذ هم قوم الآية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي رحمه الله
تعالى انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتل عمرو بن امية رضي الله عنه فقال له حيي بن اخطب اجلس
يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله
عليهما وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير

ومعنى الحديث رحمهم الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد قريشا
لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة
رضي الله عنه ادركه يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل
فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه صلى الله عليه وسلم وعن فضالة بن عمير رضي الله عنه اردت
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
صلى الله عليه وسلم واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله تعالى شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل
واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا
اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له
والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته تعالى
له صلى الله عليه وسلم ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم
بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره

النحو والفهم — حضوهم

صلى الله

صلى الله عليه وسلم بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة ما جمعه الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان
حسن التدبير مع اصابة الصواب
في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه والجبابرة
ونعوتهم
والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه صلى الله عليهما وسلم وحفظ شرائعهم
وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله تعالى فيهم وصفات اعيانهم
واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من
الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها
العجيبة
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
التي لا تناقض فيها ولا تخاذل مع اشتمال شريعته صلى الله عليه وسلم على محاسن
الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع
ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من
الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا مما لا يعلم ولا يقوم
به ولا يبعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة بعض هذا الى
الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه
عليه الصلاة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول

الفهم

عابر وهي على رجل طاير وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا
يحدث الرجل بها نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا تقارب الزمان لم تكذ رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم
اصل كل داء البردة وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة
رضي الله عنه من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا
حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني رحمه الله تعالى وقوله
صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي
سبعة اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى
قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن سبا أرجل هو او امرأة او ارض فقال
رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله
عليه وسلم حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمها والازد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه
سواء وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة
وخمسون على اللسان والف وخمس مائة في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وهو
بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله صلى الله عليه وسلم لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله صلى الله
عليه وسلم لكاتبه ضع القلم على اذنك لانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط

وحسن

وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن
شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الآخر الذي يروى عن معوية رضي الله عنه انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب
فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب
وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث ابي هريرة رضي الله عنه اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما قال
الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ
بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم
قبل شيئا منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر
والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد
لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا
تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان رضي الله عنه انما عرفه صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا يعد من الآيات واما الرومي

لكثير من لغات الامم كقوله صلى الله عليه وسلم صكا

فكان اسلم رضي الله عنه وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه
وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي
اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة ما اتى به
والاتيان بمثله بل عن فهم رصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي رضي الله عنهما او يعيش او جبر او يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد
منهم شيء من مثل ما كان يجيء به النبي صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه
وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شيعته كفعل النضر بن الحرث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب
النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل مكثه مدة
يحتمل فيها تعلم القليل فكيف الكثير بل كان صلى الله عليه وسلم في سفره في صحبة
قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم
واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به
في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر فصل
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن
وامداد الله تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه رضي الله عنهم لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية وقال تعالى اذ يوحي ربك
الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم الآيتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي حدثنا

عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله
ابن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن
عبد الله رضي الله عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل عليه السلام
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من
الملائكة صلى الله عليهم وسلم وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء
مشهور وقد رآهم بحضرته صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه رضي الله عنهم
في مواطن مختلفة رأى ابن عباس واسامة وغيرهما رضي الله عنهم عنده
جبريل صلى الله عليهما وسلم في صورة دحية رضي الله عنه ورأى سعد رضي الله عنه
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل صلى الله عليهما في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ورأى اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم جبريل عليه السلام
في صورة رجل يسأله عن الايمان والاسلام ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة عليهم السلام خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار
ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحرث رضي الله عنه يومئذ
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كان عمران
ابن الحصين رضي الله عنهما تصافحه الملائكة واري النبي صلى الله عليه وسلم
لحمزة رضي الله عنه جبريل عليه السلام في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
وذكر ابن سعد رحمه الله ان مصعب بن عمير رضي الله عنه لما قتل يوم احد
اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم صلى الله عليه وسلم انه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين رحمهم الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا
انا جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم

ابن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا صلى الله عليه ومن بعده في حديث طويل ان
النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي رحمه الله قتل خالد
رضي الله عنه عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجدلها رضي الله عنه بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك
العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على
صلاتي فامكنني الله تعالى منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله تعالى خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالاته ما ترادفت به
الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته صلى الله عليه وسلم
وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك
في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبههم
وكعب بن لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن
ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته صلى الله عليه وسلم وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل
مما قد جمعه العلماء رحمهم الله تعالى وبينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم
مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن
اسلم من علماء يهود رضي الله عنهم وبحيرا ونسطورا الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة
واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى رضي الله عنهم وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساها ومقوقس صاحب
مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير

ابن باطيا

ابن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاوة
والاخبار في هذا كثير لا تنحصر وقد قرع صلى الله عليه وسلم اسماع يهود والنصارى بما
ذكر انه في كتبهم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه رضي الله عنهم واحتج
عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر
عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله صلى الله
عليه وسلم لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب
وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد
ابن بنت كريز وفاطمة بنت نعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام
من نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان
ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات
عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه صلى الله
عليه وسلم رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص رضي الله عنها من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما لما سقط
صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة
وزوجها ظئراه رضي الله عنهما من بركته صلى الله عليه وسلم ودرور لبنها ولبن
شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة

من النور الذي خرج معه صلى الله عليه وسلم
عند ولادته [illegible]

مولده صلى الله عليه وسلم من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة
طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته رضي الله عنها ما رايته
صلى الله عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السما
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض
الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه صلى الله
عليه وسلم حتى في ستره في الخبر المشهور عند بنا الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على
عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه
ما بالك قال صلى الله عليه وسلم اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى
له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة رضي الله عنها ونساها راينه لما قدم وملكان
يظلانه فذكرت لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي
ان حليمة رضي الله عنها رات غمامة تظله صلى الله عليه وسلم وهو عندها وروي
ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض
اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وايعنت هي فاشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل في الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته
وما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه صلى الله عليه وسلم
كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه صلى الله عليه وسلم ومن
ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه صلى الله عليه وسلم ثم اعلامه صلى الله عليه وسلم
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله تعالى له صلى الله عليه وسلم عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملايكة على جسده على ما رويناه

في بعضها

في بعضها واستيذان ملك الموت عليه صلى الله عليه وسلم ولم يستاذن
على غيره قبله وندايهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي
من تعزية الخضر والملايكة اهل بيته عند موته صلى الله عليه وسلم الى ما ظهر على
اصحابه رضي الله عنهم من كرامته وبركته في حياته وموته صلى الله عليه وسلم
كاستسقاء عمر بعمه رضي الله عنهما وتبرك غير واحد بذريته صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم فصل قال المؤلف رحمه الله تعالى قد اتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته صلى الله عليه وسلم واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الاكثر مما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر
الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الايمة رحمهم الله تعالى وحذفنا الاسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات ساير الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة
الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه بعض الناس
على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من
الانبيا صلى الله عليهم تقف ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القران
وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين رحمهم الله تعالى سورة
انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف
كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت
من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا
ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد
بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزا القران على نسبة

عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء
من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله
عليه وسلم في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني في وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل صلوات
الله عليهم كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى صلى الله عليه غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى صلى الله عليه بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى صلى الله عليه اغنى ما كان الطب واوفر ما كان
اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء صلى الله عليهم وسلم
ثم ان الله تعالى جده بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله تعالى عليه القرآن
الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم
الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث
والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون

السالفة وانباء الانبياء صلى الله عليهم والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز
من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت
هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن
الثانية
ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه
وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن
الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان والمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمأنينة الى
عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات
الرسل صلوات الله عليهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا
القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي الا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم
وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء رحمهم الله تعالى
في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى آخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها
من معجزات الرسل صلوات الله عليهم قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا
في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه عمل
فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب

ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضي ووجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد
مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين هذين
المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير
الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد
ابين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء
هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره رحمهم الله
تعالى قال وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها
كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد
ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلايق في المئين من السنين بكلام من جنس
كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها
الا منع الله تعالى الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله تعالى القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك
وعجزهم الله سبحانه عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله
التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء رحمهم الله تعالى وجه ظهور آيته صلى الله
عليه وسلم على ساير آيات الانبياء عليهم السلام حتى احتاج للعذر عن ذلك
بدقة افهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة
فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني
اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة

بحيث

بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم
وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون
فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها
يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم
من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء
لبه ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا
ورفضوا الدنيا كلها في صحبته صلى الله عليه وسلم وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته صلى الله عليه وسلم واتى في معنى هذا بما يلوح له
رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق فقد قدمنا من بيان معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها ان شاء الله تعالى وبه استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام

من حقوقه عليه الصلاة والسلام قال المؤلف رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه
الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة
عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم الباب الاول في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم قال
المؤلف رحمه الله تعالى اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم
وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان
بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الختني الفقيه بقرائتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا ابو الحسين حدثنا امية
ابن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى
قال المؤلف رحمه الله تعالى والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته
ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له
كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده صلى الله
عليه وسلم وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله الحديث فقد قرر صلى الله عليه وسلم ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم

وتصديقهم

وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم
عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد
ما جعل في حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل
اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان
القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر صلى الله عليه وسلم
سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهلته وعلم ما يلزمه
من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف
فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد
ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضي الى متسع
من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه
او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم
اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض

التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل واما وجوب
طاعته صلى الله عليه وسلم فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت
طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسوله وقال تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال تعالى واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا وقال عز وجل من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقال سبحانه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية وقال عز وجل وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم طاعته سبحانه وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب سبحانه وتعالى
امتثال امره صلى الله عليه وسلم واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة
رحمهم الله تعالى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في التزام سنته والتسليم
لما جاء به وقالوا وما ارسل الله تعالى من رسول الا فرض طاعته على من ارسله
اليه وقالوا من يطع الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته يطع الله تعالى في فرائضه
وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي رحمه الله تعالى يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
صلى الله عليه وسلم في سننه وقيل اطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم والرسول
صلى الله عليه وسلم فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله سبحانه بالشهادة له بالربوبية والنبي
صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان انا عبد الله انا يونس
عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني

فقد

فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله عز وجل اذ الله تعالى امر بطاعته صلى الله
عليه وسلم فطاعته صلى الله عليه وسلم امتثال لما امر الله تعالى به وطاعة له
وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم
حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى
قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال
يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا
مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به
ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله صلى الله
عليه وسلم كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي
دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد
اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس
فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وقال سبحانه فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقا

عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى الاسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل وقال غير واحد من المفسرين
بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم وقال سهل
رحمه الله تعالى في قوله سبحانه تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله صلى الله
عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن رحمه الله ان قوما قالوا يا رسول الله
انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية
وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى الآية وقال الزجاج رحمه الله تعالى
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله تعالى لهم عفوه عنهم وانعامه
عليهم برحمته ويقال الحب من الله تعالى عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة
كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع •
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •
ويقال محبة العبد لله سبحانه وتعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له
رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري
رحمه الله تعالى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق
ابرهيم بن جعفر الفقيه حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ح وحدثنا ابو الحسن

يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو حفص الجهني
حدثنا ابو بكر الآجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد
حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خلد بن معدان عن عبد الرحمن
ابن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر رضي الله عنه بمعناه وكل
ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء
اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا
والآخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي
بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال
صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى
ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن
ابن ابي الحسن رحمه الله تعالى قال عنه صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير

من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل
افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها
في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني
كان معي وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحرث رضي الله عنه من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة رحمهم
من اتباع سنته صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ
ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه حدثنا ابو عمر الحافظ
حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد
ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا ملك عن ابن شهاب عن رجل من آل
خلد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال يا عبد الرحمن انا نجد
صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر
رضي الله عنهما يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا الاخذ بها تصديق
لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت

مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال
ابن شهاب رحمه الله بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة
وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنة فان اصحاب السنن اعلم
بكتاب الله وفي خبره رضي الله عنه حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع
كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن
فقال له عثمان رضي الله عنه ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن لادع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه رضي الله عنه
الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول القصد في السنة
خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه
من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل
وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا واقتصادا ان يكون على مناهج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء رحمه الله
في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود والله إنك
حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدير ناقته في مكان فسئل
فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال
أبو عثمان الحيري رحمه الله تعالى من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري رحمه الله تعالى
أصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال
والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل
الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي أن أحمد بن حنبل
رحمه الله تعالى قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك
الليلة قائلا لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
إماما يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته
صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة متوعد من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم وقال جل وعز ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا
أبو الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد بن أبي سليمان
حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة
وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال

فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا
وروى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن أبي رافع عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين
أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام رضي الله عنه
ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم
وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم
إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به
إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ الباب الثاني
في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم
وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها
ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها
صلى الله عليه وسلم إذ قرع سبحانه وتعالى من كان ماله وأهله وولده أحب
إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية
وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله عز وجل حدثنا أبو علي الغساني الحافظ
فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قالوا حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
حدثنا أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن
عبد الرحمن بن صهيب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر رضي الله عنه والذي
انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل رحمه الله تعالى من لم ير ولاية الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد
عن انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
ابن قدامة رضي الله عنه قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك
قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
ابن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه رضي الله عنهم وعن علي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما
فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروى

ان رجلا





ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي
اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله تعالى
الآية وفي حديث انس رضي الله عنه ومن احبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والائمة رحمهم الله من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي الجلودي حدثنا
ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
الناس لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
رضي الله عنه وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة رضي الله عنهم في مثله وعن
عمرو بن العاصي رضي الله عنه ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبدة بنت خلد بن معدان رحمة الله عليهما قالت ما كان خلد ياوي
الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار يسميهم رضي الله عنهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم
يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي
عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق
لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة رضي الله عنه

وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
قاله للعباس رضي الله عنهما ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق رحمه الله تعالى ان امرأة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بخير هو بحمد الله كما
تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا
بحصه وحرارته
ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم خرج عمر رضي الله عنهما ليلة يحرس
فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكى بالاسحار يا ليت شعري والمنايا
اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر رضي الله عنه
يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله
فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة
محمدا وحزبه وذكر ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت رحمة الله عليها ولما خرج اهل مكة
زيد بن الدثنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه
انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه
وانك في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه
الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان رضي الله عنه ما رأيت
من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض

زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن
عمر على ابن الزبير رضي الله عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته
صلى الله عليه وسلم قال المؤلف رحمه الله تعالى اعلم ان من احب شيئا آثره
وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي
صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به
صلى الله عليه وسلم واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه
وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه
صلى الله عليه وسلم وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن
حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد
ابن المسيب قال قال انس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي
يا بني وذلك من سنتي ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي
في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله
عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم

جمع ارجاء دفر

كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه صلى الله عليه وسلم
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين رضي الله عنهم عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله
قال عمار قبل قتله رضي الله عنهما وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان رحمه الله ومن
علاماته مع كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه الكريم قال اسحق التجيبي رحمه الله كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له صلى الله عليه وسلم وشوقا
اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم
وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه وقد قال صلى الله
عليه وسلم في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية
في الحسن رضي الله عنه فاحب من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة
رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة
في اسامة بن زيد رضي الله عنهم احبيه فاني احبه وقال صلى الله عليه وسلم آية
الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث بن عمر رضي الله عنهما
من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم قال المؤلف رحمه الله تعالى
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات
وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله عنه حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم

يتبع

يتبع الدبا من حوالي القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن
ابن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى رضي الله عنهم وسألوها ان تصنع
لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر رضي الله عنهما
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل
نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله بن ابي رضي الله عنه لو شئت
لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به صلى الله عليه وسلم
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته صلى الله عليه وسلم
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى علامة حب الله
حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب
الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا
وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم شفقته على امته صلى الله عليه وسلم ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ودفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن
علامة تمام محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر
واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله

وفي حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات قال ان كنت
تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد رضي الله عنه بمعناه
فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس
في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفين رحمه الله تعالى المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانه
التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة
الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر ايثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد
الرب يحب ما احب ويكره ما يكرهه وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له
واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة
واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعرفة
والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف
بامثال هولاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرى ما يودي
الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته
له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها
فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم
فعلمت انه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة

والظاهر

والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مضى من الكتاب ما لا يحتاج
الى زيادة واما احسانه صلى الله عليه وسلم وانعامه على امته فكذلك قد مر منه
في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وانه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤف رحيم
ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه صلى الله عليه وسلم الى جميع المؤمنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان
ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة
الحقيقية شرعا لما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة
او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل
منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته
او قاص بعيد الدار لما فشا من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية
مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض
الصحابة رضي الله عنهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم
فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل
والله غفور رحيم قال اهل التفسير رحمهم الله تعالى اذا نصحوا الله ورسوله اذا كانوا

مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقرائي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال المختار رحمهم الله تعالى النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي رحمه الله تعالى النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف رحمه الله تعالى النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج رحمه الله تعالى نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله ابو سليمان رحمه الله تعالى وقال ابو بكر رحمه الله تعالى وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة صلى الله عليه وسلم وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي رحمه الله تعالى نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله الى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد رحمه الله تعالى من مفروضات

القلوب

القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري رحمه الله تعالى وغيره والنصح له صلى الله عليه وسلم يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته صلى الله عليه وسلم نصح اصحابه رضي الله عنهم له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه رضي الله عنهم جميعهم ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيري رحمه الله تعالى ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله ذلك لي وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين وارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا

وتذير لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الثلث الآيات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فاوجب تبارك وتعالى تعزيره صلى الله عليه وسلم وتوقيره والزم
اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد رحمه الله
تعالى تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش رحمه الله تعالى تنصرونه وقال
الطبري رحمه الله تعالى تعينونه وقرئ تعززوه من العز ونهى سبحانه وتعالى
عن التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم بالقول وسوء الادب وسبقه بالكلام
على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب رحمهم الله تعالى قال سهل بن عبد الله
رحمة الله عليه لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه صلى الله عليه وسلم فيه وان يفتاتوا
بشيء في ذلك من قتال وغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري رحمهم الله تعالى ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال تعالى واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي رحمه الله تعالى اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي رحمه الله تعالى
اتقوا الله في اهمال حقه صلى الله عليه وسلم وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم تعالى عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم
والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا
باسمه قال ابو محمد مكي رحمه الله اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا
تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب
ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله تعالى في الآية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه
الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه

قيل

قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم
فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون
هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل
الجنة فقتل يوم اليمامة رضي الله عنه وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما
نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار
وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار ما كان
يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى
فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في وفد بني تميم نادوه صلى الله عليه وسلم باسمه وروى
صفوان بن عسال رضي الله عنه بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك
فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها
اذ مقتضاها انهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال صلوات الله

وسلامه عليه وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة رضي الله عنهم في تعظيمه صلى الله
عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى
حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي
واسحق بن منصور حدثنا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن
ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
رضي الله عنهم وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم
اليهما وروى اسامة بن شريك رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود رضي الله عنه حين
وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له
ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فلما رجع الى قريش
قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني

والله ما رايت

والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه رضي الله عنهم
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله عنه
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى
وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
طلحة رضي الله عنه ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة رضي الله عنها
فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما صلى الله عليه وسلم وفي حديث المغيرة رضي الله عنه كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
رضي الله عنهما لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر
فاؤخره سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتعظيمه وتوقيره لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه
وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته رضي الله عن جميعهم وقال ابو ابرهيم التجيبي رحمه الله تعالى واجب
على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتأدب بما ادبنا الله تعالى به قال المؤلف رحمه الله وهذه كانت
سيرة سلفنا الصالحين وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه
قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث حدثنا ابو الحسن علي بن فهر

حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا
يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكا رحمهما الله تعالى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم
الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة
وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية وقال مالك رحمه الله تعالى وقد
سئل عن ايوب السختياني رحمة الله عليه ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه
قال وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير
لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم
ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر رحمه الله وكان سيد القراء
لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد رحمه الله
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القرآن ولا يتكلم
فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن
ابن القسم رحمه الله يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم

وقد جف

وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن
عبد الله بن الزبير رحمهم الله تعالى فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى
حتى لا تبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري رحمه الله وكان من اهنا الناس
واقربهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد
كنت اتي صفوان بن سليم رحمه الله وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي
عن قتادة رحمه الله انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر
على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا
سواء وكان ابن سيرين رحمة الله عليه ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله اذا قرا
حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله صلى الله عليه وسلم تسليما فصل في سيرة السلف رحمهم الله في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا
ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني
حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود رضي الله عنه
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن
جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب من ذا وفي
رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال
ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم رحمة الله عليهم

وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم وقال مالك رحمه الله جاء رجل الى ابن
المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن فقال رحمة الله عليه اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس رحمه الله لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك عن
جعفر بن محمد رحمة الله عليهم وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب
فسيل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
رحمه الله كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع
على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن
يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان
يكره ان يحدث في الطريق او وهو قايم او مستعجل وقال احب ان افهم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة رحمه الله كانوا يكرهون
ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش رحمه الله اذا احب ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة رحمه الله لا يحدث الا على طهارة
قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه كنت عند مالك وهو يحدث فلدغته

قتادة
ولا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الا على وضوء

عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك رحمه الله الى العقيق فسالته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم
فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال رحمه الله القاضي احق من ادب وذكر ان
هشام بن الغاز سال مالكا رحمه الله عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام رحمه الله وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث رحمة الله
عليهما لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة رحمه الله يستحب
ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش رحمه الله اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه رضي الله عنهم كما حض صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله
عنهم قال الله تبارك وتعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت
من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القسم ابنة الشيخ ابي بكر
الخفاف حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا
يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله
واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس
رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب

الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة
آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم
واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة
رضي الله عنهما لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وذلك في بيت أم سلمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ثم قال
اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا
وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هولاء اهلي وقال النبي
صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله عنه لا يحبك
الا مومن ولا يبغضك الا منافق وقال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى
عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس اغد علي
يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
آمين آمين وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ اسامة بن زيد والحسن رضي الله عنهم
ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال
ايضا رضي الله عنه والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وحسينا وقال صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
وأباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا

اهانه الله وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم
لام سلمة رضي الله عنها لا توذيني في عايشة وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر
وحمل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك رضي الله
عنهم وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم قال اتيت عمر بن عبد العزيز
رحمة الله عليه في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب الي فاني
استحيي من الله ان اراك على بابي وعن الشعبي رحمه الله صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهم فاخذ بركابه فقال
زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد
ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
ورضي عن جميعهم وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد رضي الله عنهم فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال
لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي رحمه الله دخلت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهم ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها
بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضي الله عنهما في ثلثة
الاف ولاسامة بن زيد رضي الله عنهما في ثلثة آلاف وخمسماية قال عبد الله
لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معوية رضي الله عنه ان كابس بن ربيعة يشبه
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه
وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان ملكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه

دخل عليه الناس فافاق فقال أشهدكم أني جعلت صاحبي في حل فقيل بعد ذلك
فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل
بعض أمته النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو بكر بن عياش رحمه الله لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم
لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من
السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنهما
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن فسجد فقيل له
أتسجد هذه الساعة فقال أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية
فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ويقولان كان
النبي صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية رضي الله عنها
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم
وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن
توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقير اصحابه رضي الله عنهم وبرهم ومعرفة حقهم
والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان
بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك
ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله
تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين

اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا
القاضي ابو علي حدثنا ابو الحسين وابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن
عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال صلى الله
عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه
وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
جابر رضي الله عنه ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم
خير وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال
مالك بن انس وغيره رحمهم الله من ابغض الصحابة رضي الله عنهم وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال رحمه الله تعالى
من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ
بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني رحمه الله من احب ابا بكر
فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله تعالى ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب

صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدًا منهم فهو مبتدع
مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم
جميعًا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني
راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احدٌ منهم بمظلمة فانها مظلمة
لا توهب في القيمة غدًا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معوية رضي الله عنه صاحبه
وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار رضي الله
عنهم اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي
كنت له حافظا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد على
الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال ملك رحمه الله تعالى
هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع وبذلك امره الله تعالى
وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب
رحمه الله تعالى ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل رضي الله عنه ان يشفع له يوم القيمة قال سهل التستري
رحمة الله عليه لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره
فصل ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده

والمكنه



والمكنة من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلاة والسلام او عرف به وروي عن صفية
بنت نجدة قالت كان لابي محذورة رضي الله عنه قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها
اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خلد بن الوليد رضي الله عنه شعرات
من شعراته صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في
ايدي المشركين وروي ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان ملك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحيي من الله تعالى ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي رحمه الله تعالى كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن احمد بن فضلويه الزاهد رحمة الله عليهما وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست
القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد
افتى ملك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة وامر بحبسه
وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال في المدينة
من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل منه صرف ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي
صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به
الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم
من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل
الجوهري رحمه الله لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ۔ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ۔ لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشأ يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ۔ قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ۔ فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ۔ فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال المؤلف رحمه الله تعالى وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

يا دار خير المرسلين ومن به ۔ هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ۔ وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري ۔ من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ۔ من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ۔ ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ۔ لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ۔ تغشاه بالآصال والبكرات

وتحفه بزواكي الصلوات ۔ ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد رحمه الله واصل الصلوة الترحم فهي من الله سبحانه وتعالى رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة عليهم السلام على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري رحمه الله الصلوة عليه من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية رحمه الله تعالى صلاة الله سبحانه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بكير رحمه الله تعالى نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه صلى الله عليه وسلم ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري رحمه الله تعالى ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب

منه الذي يسقط به الحرج والمأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك
فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار
رحمه الله تعالى المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه
ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير رحمه الله تعالى
افترض الله تعالى عز وجل على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي ابو محمد بن نصير رحمه الله تعالى الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب ملك واصحابه وغيرهم من اهل العلم
رحمة الله عليهم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان
لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب
الشافعي رحمهم الله تعالى الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم
هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى
الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما رحمهم الله تعالى اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد
غير واجبة وشذ الشافعي رضي الله عنه في ذلك فقال من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى
عليه قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ
في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها
منهم الطبري والقشيري وغير واحد رحمهم الله جميعهم وقال ابو بكر بن المنذر رحمه الله تعالى
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك
ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب ملك واهل المدينة وسفين الثوري واهل
الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم رحمهم الله تعالى وحكى
عن ملك وسفين رحمهما الله تعالى انها في التشهد الآخر مستحبة وان تاركها في التشهد

سهی وعند الشافعي رضي الله عنه فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب
اسحق رحمه الله تعالى الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي
زيد عن محمد بن المواز رحمهما الله تعالى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة
قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره رحمهم الله تعالى
وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول
الشافعي رحمه الله تعالى وقد خالف الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي الشافعي
رحمه الله تعالى في هذه المسئلة قال الخطابي رحمه الله تعالى وليست بواجبة في الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي رحمه الله تعالى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه
وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود رضي الله عنه الذي اختاره
الشافعي رحمه الله تعالى وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد
كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد رضي الله عنه وقال ابن عمر كان ابو بكر
رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن
القصار رحمه الله تعالى معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل
الحديث كلهم رحمهم الله تعالى رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابي مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي
لم تقبل منه قال الدارقطني رحمه الله تعالى الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن
علي بن الحسين رضي الله عنهم لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم

من خ نسخة
وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب
فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب
والسنة والندب اه

وقد روي موقوفا من قبل ابي مسعود ه

ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله تعالى بقراءتي قال حدثنا الامام
ابو القاسم البلخي حدثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب
عن ابي عيسى الحافظ حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا
حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع
فضالة بن عبيد رضي الله عنه يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم
ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض
ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسأل
الله تعالى شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى للدعاء اركان واجنحة
واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق
مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار

استجيب

ابن

واسبابه الصلوة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
علي لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد
الدعاء وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك
ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن
مواطن الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما عند ذكره وسماع اسمه او كتابه
او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره ابن حبيب رحمه الله تعالى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون رحمه الله تعالى الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب وقال
لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن
القسم رحمه الله عليهما موطنان لا يذكر فيهما الا الله تعالى الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد
لم يكن تسمية له مع الله عز وجل وقاله اشهب رحمه الله تعالى قال ولا ينبغي ان
تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي رحمه الله
تعالى عن اوس بن اوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان رحمه الله تعالى وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله
ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار رحمه الله
عليه في قوله تبارك وتعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن
في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس

رضي الله عنهما المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي رحمه الله تعالى اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة رحمه الله تعالى اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملايكته على محمد ونحوه عن
كعب رحمه الله تعالى اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان
رحمه الله تعالى لما ذكر بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر
ابن عمرو بن حزم رحمه الله تعالى وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث
آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم
الصلوة على الجنايز وذكر عن ابي امامة رضي الله عنه انها من السنة ومن مواطن
الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي وآله صلى الله عليه
وسلم وعليهم في الرسايل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث
عند ولاية بني هاشم رحمهم الله تعالى فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم
من يختم به ايضا الكتب قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملايكة تستغفر الله له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقري الخطيب
رحمه الله تعالى وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن
سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى
احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم
وسنته اول التشهد وقد روى ملك رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه

كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب ملك في المبسوط
ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر
رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم رحمهم الله
ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملايكة وبني آدم
والجن قال ملك رحمه الله تعالى في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليكم فصل في كيفية الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم
حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه حدثنا القاضي ابو الاصبغ حدثنا
ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله
حدثنا يحيى حدثنا ملك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم
الزرقي قال اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف
نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابرهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي
رواية ملك رحمه الله تعالى عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن
عجرة رضي الله عنه اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وآل
محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو رضي الله عنه في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر بمعناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا حدثنا
ابو عبد الله بن سعدون الفقيه حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر

ابن ابی دارم الحافظ عن علی بن احمد العجلی عن حرب بن الحسن عن یحیی بن المساور
عن عمرو بن خلید عن زید بن علی بن الحسین عن ابیه علی عن ابیه الحسین عن ابیه
علی بن ابی طالب رضی الله عنهم قال عدهن فی یدی رسول الله صلی الله علیه وسلم
وقال عدهن فی یدی جبریل وقال هکذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل علی
محمد وعلی آل محمد کما صلیت علی ابراهیم وعلی آل ابرهیم انک حمید مجید اللهم بارک
علی محمد وعلی آل محمد کما بارکت علی ابرهیم وعلی آل ابراهیم انک حمید مجید اللهم وترحم علی محمد
وعلی آل محمد کما رحمت علی ابرهم وعلی آل ابراهم انک حمید مجید اللهم وتحنن علی محمد
وعلی آل محمد کما تحننت علی ابرهم وعلی آل ابرهیم انک حمید مجید اللهم وسلم علی محمد
وعلی آل محمد کما سلمت علی ابرهم وعلی آل ابرهیم انک حمید مجید وعن ابی هریرة
رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم من سره ان یکتال بالمکیال الاوفی
اذا صلی علینا اهل البیت فلیقل اللهم صل علی محمد النبی وازواجه امهات المؤمنین
وذریته واهل بیته کما صلیت علی ابرهیم انک حمید مجید وفی روایة زید بن خارجة
الانصاری رضی الله عنه سألت النبی صلی الله علیه وسلم کیف نصلی علیک فقال
صلوا علی واجتهدوا فی الدعا ثم قولوا اللهم بارک علی محمد وعلی آل محمد کما بارکت
علی ابرهیم انک حمید مجید وعن سلامة الکندی رحمه الله تعالی کان علی رضی الله
عنه یعلمنا الصلوة علی النبی صلی الله علیه وسلم اللهم داحی المدحوات
وباری المسموکات اجعل شرائف صلواتک ونوامی برکاتک ورأفة تحننک
علی محمد عبدک ورسولک الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجیشات الاباطیل کما حمل فاضطلع بامرک بطاعتک مستوفزا فی مرضاتک
واعیا لوحیک حافظا لعهدک ماضیا علی نفاذ امرک حتی اوری قبسا لقابس
آلاء الله تصل باهله اسبابه به هدیت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
وانهج موضحات الاعلام ونائرات الاحکام ومنیرات الاسلام فهو امینک المأمون
وخازن علمک المخزون وشهیدک یوم الدین وبعیثک نعمة ورسولک بالحق

رحمة اللهم افسح له فی عدلک واجزه مضاعفات الخیر من فضلک مهنآت له
غیر مکدرات من فوز ثوابک المحلول وجزیل عطائک المعلول اللهم اعل علی بناء
الناس بناءه واکرم مثواه لدیک ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثک له
مقبول الشهادة ومرضی المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظیم
وعنه ایضا رضی الله عنه فی الصلوة علی النبی صلی الله علیه وسلم ان الله وملائکته
یصلون علی النبی الآیة لبیک اللهم ربی وسعدیک صلوات الله البر الرحیم
والملائکة المقربین والنبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وما سبح لک من شیء
یا رب العالمین علی محمد بن عبد الله خاتم النبیین وسید المرسلین وامام المتقین
ورسول رب العالمین الشاهد البشیر الداعی الیک باذنک السراج المنیر وعلیه السلام
وعن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه اللهم اجعل صلواتک وبرکاتک ورحمتک
علی سید المرسلین وامام المتقین وخاتم النبیین محمد عبدک ورسولک امام الخیر
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا یغبطه فیه الاولون والآخرون اللهم
صل علی محمد وعلی آل محمد کما صلیت علی ابراهیم انک حمید مجید وبارک علی محمد
وعلی آل محمد کما بارکت علی ابرهیم وعلی آل ابرهیم انک حمید مجید وکان الحسن
البصری رحمه الله تعالی یقول من اراد ان یشرب بالکاس الاوفی من حوض
المصطفی صلی الله علیه وسلم فلیقل اللهم صل علی محمد وعلی آله واصحابه واولاده
وازواجه وذریته واهل بیته واصهاره وانصاره واشیاعه ومحبیه وامته وعلینا
معهم اجمعین یا ارحم الراحمین وعن طاوس عن ابن عباس رضی الله عنهما انه
کان یقول اللهم تقبل شفاعة محمد الکبری وارفع درجته العلیا وآته سؤله فی الآخرة
والاولی کما آتیت ابرهیم وموسی وعن وهیب بن الورد رحمه الله تعالی انه کان
یقول فی دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألک لنفسه واعط محمدا افضل ما سألک له
احد من خلقک واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الی یوم القیمة وعن ابن مسعود
رضی الله عنه انه کان یقول اذا صلیتم علی النبی صلی الله علیه وسلم فاحسنوا الصلوة علیه

عدلك

واجره

فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم إنك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء
عن آل البيت وغيرهم كثير وقوله صلى الله عليه وسلم والسلام كما قد علمتم هو
ما علمهم في التشهد من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله
السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام
علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل
شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث
عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث الصلوة
عليه أيضا صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر رحمه الله وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي
صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له صلى الله عليه وسلم بالصلوة والبركة التي تختص به
ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى في الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبرهيم وآل إبرهيم ولم
يأت هذه في حديث صحيح وحجته رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم في السلام السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
والتسليم عليه والدعاء له حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي
يونس بن مغيث حدثنا أبو بكر بن معوية حدثنا النسائي أنا سويد بن نصر أنا
عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير

مولى

مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن أنس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك
صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال إني أبشرك أن الله يقول
من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنهم وعن
زيد بن الحباب رحمه الله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر
وعن أبي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب
ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء
الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلوة عليك فكم
أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير
قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وإن زدت
فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي

كلها

كلها لك قال اذن تكفى ويغفر ذنبك وعن ابى طلحة رضى الله عنه دخلت على النبى
صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعنى
وقد خرج جبريل آنفا فاتانى ببشارة من ربى ان الله تعالى بعثنى اليك ابشرك
انه ليس احد من امتك يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر
ابن عبد الله رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع
النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والدرجة
الرفيعة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب رحمه الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الآثار ليردن على اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلاتهم على وفى آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم على
صلاة وعن ابى بكر رضى الله عنه الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب
من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل فى ذم من لم
يصل على النبى صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله حدثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجى
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقى حدثنا ربعى بن
ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم
انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابواه
عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفى حديث
آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فسأله معاذ رضى الله عنه عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتانى فقال

يا محمد

يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على وعن جعفر بن
محمد عن ابيه رحمة الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل على اخطئ به طريق الجنة وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وعن
ابى هريرة رضى الله عنه قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم
تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم كانت عليهم
من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابى هريرة رضى الله عنه من نسى
الصلوة على نسى طريق الجنة وعن قتادة رحمه الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلى على وعن جابر رضى الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
الا تفرقوا على انتن من ريح الجيفة وعن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان
عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذى رحمه الله
عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم مرة فى المجلس
اجزأ عنه ما كان فى ذلك المجلس فصل فى تخصيصه عليه الصلوة والسلام
بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرى حدثنا حيوة عن ابى صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابى هريرة رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام

وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة رضي الله عنه
وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل
جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن
الحسن رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه
ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض
عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي
حديث اوس رضي الله عنه اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم
معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رحمة الله عليه رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء ياتونك فيسلمون عليك تفقه سلامهم قال
نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب رحمه الله تعالى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان
الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي
ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا عليهم الصلوة والسلام قال المؤلف
رحمه الله تعالى عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفين رحمه الله تعالى يكره
ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلي

الذين

على احد

على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد
قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبيا عليهم السلام وما ينبغي
لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلوة
على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي رحمه الله تعالى روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه
نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق رحمه الله تعالى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبيا الله ورسله فانه
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعا وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد
قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال عز وجل اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان صلى الله
عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة
اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخره وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل
امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل بيته وقيل آل الرجل ولده وقيل
قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس رضي الله عنه سئل
النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن رحمه الله
تعالى ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله تعالى به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود

وفي حديث ابي حميد الساعدي رضي الله عنه في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى ابي بكر وعمر ذكره ملك رحمه الله في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي والصحيح
من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن وهب عن انس بن
ملك رضي الله عنه قال كنا ندعوا لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على
فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال [illegible]
رحمه الله تعالى والذي ذهب اليه المحققون وأميل اليه ما قاله ملك وسفين
رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره غير واحد
من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلي على غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند
ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يختص الله تعالى عند ذكره
بالتقديس والتنزيه والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشاركهم فيه
سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقال تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والرحمة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب
ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر

الاسفرايني

الاسفرايني من شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر رحمهم الله تعالى فصل
في حكم زيارة قبره عليه الصلوة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له
شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا الحسين
ابن جعفر حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا
محمد بن عبد الرزاق حدثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما فذكره وعن انس بن ملك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره
ملك رحمه الله تعالى ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ولا تقولوا هجرا وقوله صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء
اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم جل وعز ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمر رحمه الله تعالى انما كره
ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس
ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس
بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم
يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي
ان منعه وكراهة ملك رحمه الله تعالى له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم

نسخه
حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن علي بن عمر
الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق
ثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما
فذكره ن صح

نهيتكم

واته لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى رحمه الله تعالى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه رحمه الله تعالى ومما لم يزل
من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود
الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه صلى الله عليهما وسلم وبمن
عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين رضي الله عنهم والاعتبار بذلك كله
وقال ابن ابي فديك رحمه الله تعالى سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا
انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعني ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فلما ودعته قال لي اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام
قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك
رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك رحمه الله تعالى
في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة
رحمه الله تعالى من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع رحمه الله تعالى كان ابن
عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على

النبي

النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف ورئي رضي الله عنه واضعا
يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن
قسيط والعتبي رحمهما الله تعالى كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة
يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وعند ابن القسم والقعنبي رحمهما الله تعالى ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
قال مالك رحمه الله تعالى في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله تعالى وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه
وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله
عنهما من الخلاف وقال ابن حبيب رحمه الله ويقول اذا دخل مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا
من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله تعالى فيهما وتسأله تمام
ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك
وفي الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه صلى الله عليه وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع
ان تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك رحمه الله تعالى في كتاب محمد ويسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد

رحمه الله تعالى واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب رحمه الله تعالى عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي وقولي اللهم
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل
فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
الرجيم وعن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد
صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا على الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة
ايضا رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى
وصلى على النبي وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب
رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم
المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك
رحمه الله في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر
ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله
عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول
هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او اراده قال ابن القسم رحمه الله ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها

اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأي قال الباجي رحمه الله تعالى ففرق بين اهل المدينة
والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون فيها لم يقصدوها من اجل
القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا
قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي رحمه الله تعالى فيمن وقف
بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل
السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي
صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل
الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن
عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقرائتي عليه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود
حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله تعالى
سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت

قال رجل من ثقيف قال لو كنت من اهل القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة رحمه الله تعالى لا ينبغي لاحد ان يتعمد المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى وان ينزه عما يكره قال المؤلف رحمه الله تعالى حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء رحمهم الله تعالى كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى وقال ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال المؤلف رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب ملك رحمه الله في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وملك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب ملك وحكاه الباجي عن الشافعي رحمة الله عليه وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة رحمه الله تعالى مثله فيأتي

فضل

فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله تعالى الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي رحمه الله تعالى الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق رحمه الله تعالى في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري رحمه الله تعالى فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين حجرتي والمنبر والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم رضي الله عنه في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري رحمه الله تعالى واذا كان قبره صلى الله عليه وسلم في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره صلى الله عليه وسلم في حجرته وهو بيته وقوله صلى الله عليه وسلم ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له صلى الله عليه وسلم هناك منبر والثالث ان قصد منبره صلى الله عليه وسلم والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يوجب الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي رحمه الله وقوله صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي رحمه الله وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا

او شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع
طيبها وقال صلى الله عليه وسلم لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه
وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن
ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وفي حديث آخر بعث يوم القيمة من الآمنين
وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله آمنا قال
بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا
ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني رحمه الله بالمنستير فاعلموه
ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي
ابيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة
ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فينادي غدا ملك من عند الله من كان
له دين عند الله فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت
ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو قط
عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه
وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثكم ابو العباس
العذري حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت
الحميدي سمعت سفين بن عيينة سمعت عمرو بن دينار سمعت ابن عباس رضي الله عنهما

يقول

يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم
الا استجيب له قال ابن عباس رضي الله عنهما وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار
رحمه الله تعالى وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس
رضي الله عنهما الا استجيب لي وقال سفين رحمه الله وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي رحمه الله وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين الا استجيب لي وقال
محمد بن ادريس رحمه الله وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة رحمه الله
وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله فيه بشيء منذ سمعت هذا
من الحسن بن رشيق رحمه الله الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي
من امر الآخرة قال العذري رحمه الله وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي رحمه الله وانا فقد دعوت الله
فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي في بقيتها
قال المؤلف رحمه الله قد ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن
من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم

وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الامور البشرية ان يضاف اليه
قال المؤلف رحمه الله تعالى قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل الآية وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام وقال عز وجل وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تبارك وتعالى قل انما انا

بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
اي لما كان الا في صورة البشر الذين تمكنهم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال تبارك وتعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين الآية اي لا يمكن في سنة الله سبحانه ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا
والرسل صلوات الله وسلامه عليهم فالانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم وسائط
بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسامهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم صلوات الله وسلامه عليهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة عليهم
السلام ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت
اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق
البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي
وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي

بمضمونها

بمضمونها كل همة بل الاكثر محتاج الى بسط وتفصيل على ما يأتي بعد هذا في البابين بعون
الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة
نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين قال المؤلف
رحمه الله تعالى اعلم ان الطوارئ من التغيرات والآفات على احاد البشر لا تخلو ان
تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد
واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ رحمهم الله تعالى بتفصيله
الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ
عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير
من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى
فيما نأتي به من التفاصيل فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم
من وقت نبوته قال المؤلف رحمه الله تعالى اعلم منحنا الله واياك توفيقه
ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والايمان به وبما
اوحى الله تعالى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل
بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك
واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود
الانبيا عليهم الصلوة والسلام سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم صلى الله عليه في اخبار الله تعالى له باحياء
الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء فحصل له
العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان
ابرهيم صلى الله عليه انما اراد اختبار منزلته عند ربه تبارك وتعالى وعلم اجابة
دعوته بسؤال ذلك من ربه عز وجل ويكون قوله تعالى او لم تؤمن اي الم تصدق

بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه صلى الله عليه وسلم سأل
زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات
فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله رحمه الله سأل كشف غطاء العيان
ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي
ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال
على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية
الوجه السادس انه صلى الله عليه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب
فيزداد قربه وقوله نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون
ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم عليه السلام اي نحن موقنون
بالبعث واحياء الله تعالى الموتى فلو شك ابرهم لكنا اولى بالشك منه اما
على طريق الادب او ان يريد صلى الله عليه وسلم امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة
يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما او غيره
من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا
لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن رحمهما الله وحكى قتادة رحمه الله
تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية
قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك

من ديني

من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره
ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء رحمه الله الا تراه
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره
ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول
لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا مثل قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ
أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي
وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء عليهم السلام ليلة الاسراء عن ذلك
فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اسأل
قد اكتفيت قاله ابن زيد رحمه الله وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة رحمة الله عليهم والمراد بهذا
والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
وانه لم يأذن تبارك وتعالى في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على
مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى

في اول الآية افغير الله ابتغي حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره
وقيل هو تقرير كقوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك
ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك به فسلهم عن صفتك
في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة رحمه الله تعالى ان المراد ان كنت
في شك من غيرك فيما انزلناه فان قيل فما معنى قوله تبارك وتعالى حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة
رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا
على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وابن جبير
وجماعة من العلماء رحمة الله عليهم وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبيا عليهم
الصلوة والسلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله
صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما اتاه من الله تعالى بعد روية الملك ولكن لعله صلى الله عليه وسلم خشي ان لا تحتمل قوته
مقاومة الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قاله بعد لقايه الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام
الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه
الشجر والحجر وبداته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان
ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثال ذلك تانيسا له صلى الله عليه وسلم
لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا تحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح
عن عايشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا

الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلا وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث
وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحق رحمه الله تعالى عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر
جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث
عايشة رضي الله عنها في غطه له واقرايه اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف عني
وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون
ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي
منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السما يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث
فقد بين لك في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقايه جبريل
صلى الله عليهما وسلم وقبل اعلام الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالنبوة واظهاره
واصطفايه بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد
خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة رحمه الله تعالى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اني لاسمع صوتا وارى ضوءا
واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه
وانه كان كله في ابتداء امره صلى الله عليه وسلم وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى
انه صلى الله عليه وسلم رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقايه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما
القي اليه صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن اسحق عن شيوخه رحمة الله عليهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما

نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه
اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة رضي الله عنها واخبارها
امر جبريل عليه السلام بكشف رأسها انما ذلك في حق خديجة رضي الله عنها لتحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها
لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو صلى الله عليه وسلم حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن
عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة رضي الله عنها ان تختبر الامر بذلك
وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم
هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت
له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك
يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها رضي الله عنها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر رحمه الله تعالى في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر
رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه
او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه
شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل
صلى الله عليهما وسلم فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف صلى الله عليه وسلم
ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه عز وجل ففعل ذلك بنفسه

ولم يرد

ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس صلى الله عليه خشية
تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه
معناه ان لن نضيق عليه قال مكي رحمه الله تعالى طمع في رحمة الله تعالى وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه قال ابن زيد رحمه الله
تعالى معناه أفظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي ان
يجهل صفة من صفات ربه عز وجل وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وغيرهما
لا لربه تعالى اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب
او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله
تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه الصلوة والسلام غيري اقوى عليه مني
فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ارسال
يونس عليه السلام ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله
عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون ويستدل ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وذكر القصة ثم قال سبحانه فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة
اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين
في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد رحمه الله تعالى واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم

على حما

من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم وليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة
وحمل الامانة وهو صلى الله عليه وسلم في هذا كله في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما
كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة واعلاهم درجة واتمهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده صلى الله عليه وسلم بربه عز وجل
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله
تعالى من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
وجه محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن
قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله عن ان يجوز عليه في حال
سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه الصلوة
والتسليم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه صلى الله عليه وسلم السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته
عليه ويكون استغفاره عليه الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار
وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى استغفاره صلى الله عليه وسلم وفعله هذا تعريف للامة
يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل
ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم فيستغفر
حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة للعبودية كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة العبادة

افلا اكون

افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله
فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم اني
اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية
نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه
اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى
اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم صلوات الله وسلامه عليهم على تلك
الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح صلى الله عليه قبلها فلا تسألني
ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز
اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله سبحانه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي رحمه الله تعالى وكذلك
امر سبحانه وتعالى نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه
ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
رحمه الله تعالى وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي رحمه الله تعالى وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل
وجب القول بعصمة الانبياء صلى الله عليهم وسلم منه بعد النبوة قطعا فان قلت
فاذا تقررت عصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله
وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله تعالى ولا تدع من دون الله

مالا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله عز وجل اذاً لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية
وقوله تعالى لاخذنا منه باليمين وقوله سبحانه وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله وقوله عز وجل فان يشا الله يختم على قلبك وقوله تعالى وان لم تفعل
فما بلغت رسالاته وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله تعالى واياك انه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه الا يبلغ
وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره صلى الله عليه وسلم بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه صلى الله
عليه وسلم ما بلغ وطيب سبحانه وتعالى نفسه صلى الله عليه وسلم وقوى قلبه بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس كما قال تعالى لموسى وهرون صلى الله عليهما لا تخافا
انني معكما لتشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس واما قوله تعالى ولو تقول علينا الآية وقوله تعالى اذاً
لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن
يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى
ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك ولئن
اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره صلى الله عليه وسلم وان هذه حال
من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه انه صلى الله عليه وسلم اطاعهم والله سبحانه ينهاه عما يشاء
ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم
عليه الصلوة والسلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم صلى الله
عليهم وسلم من هذا الفن قبل النبوة فللناس خلاف والصواب انهم صلوات
الله وسلامه عليهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء

من ذلك

من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبيا عليهم الصلوة والسلام بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار
المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم
الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار رحمهم الله تعالى ان احداً نبي
واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها
صلى الله عليهم بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه ونقلته الينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة
من توبيخه بنهيه عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي اطباقهم
على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما
حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري رحمه الله تعالى على تنزيههم
صلى الله عليهم وسلم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
الآية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله تعالى في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ
ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده صلى الله عليه وسلم بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل صلى الله عليهما وسلم وشق قلبه صغيراً واستخرج
منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايماناً كما تظاهرت
به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي

فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين رحمة الله عليهم الى انه انما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد
أفهذا ربي قال الزجاج رحمه الله تعالى قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى اين
شركائي اي عندكم ويدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك
قط بالله عز وجل طرفة عين قول الله تعالى عنه واذ قال ابرهيم لابيه آزر اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم
وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم في الازل
من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال تعالى بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضي انهم يعودون لما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب
لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل ذلك كذلك ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وما كان قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تبارك
وتعالى ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري رحمه الله تعالى وقيل وجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك فهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير
واحد رحمة الله عليهم وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها
والضلال هاهنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به

الى ربه

الى ربه عز وجل ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الى الاسلام حكى معناه القشيري رحمه الله
تعالى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
قاله علي بن عيسى رحمه الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له صلى الله
عليه وسلم ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا
بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن
جعفر بن محمد رحمة الله عليهما ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما ووجدك ضال فهدى
اي اهتدى بك وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم
يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله صلى الله عليه لكفروا ومثله عند
هذا قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد رحمة الله عليه
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا اليك
الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء
ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى
صلى الله عليه قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة رحمه الله تعالى وقال الازهري رحمه الله تعالى معناه
من الناسين وقد قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما
قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي رحمه الله تعالى قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي ان تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي
رحمه الله تعالى نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال فكان صلى الله
عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيد الله تعالى ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل
فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تبارك وتعالى

وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله سبحانه وتعالى والذين عن
آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي رحمه الله تعالى ان معناه لمن الغافلين عن قصة
يوسف عليه الصلوة والسلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه
عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل رحمه الله تعالى جدا وقال هو موضوع او يشبه
بالموضوع وقال الدارقطني رحمه الله تعالى يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله
عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت الي الاصنام وقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن رضي الله عنها حين كلمه
عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته صلى الله عليه وسلم
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض
طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته
صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط
بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان هو صلى الله عليه وسلم يقف بعرفة لانه كان
موقف ابرهيم صلوات الله عليهما وسلامه فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
قد بان بما قدمناه عقود الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها

مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا
ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا
منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا تشترط في حق الانبياء صلى الله عليهم وسلم العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها
او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها
وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا صلوات الله وسلامه
عليهم الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا
العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز
عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله سبحانه
وتعالى فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين
او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين رحمهم الله تعالى وعلى مقتضى حديث
ام سلمة رضي الله عنها اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات
وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه
ممن اجاز عليه الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي
هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم

من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه
فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه فاما لم يعتقد
عليه صلى الله عليه وسلم قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان صلى الله عليه وسلم
لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله تعالى شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله تعالى او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله سبحانه وتعالى
وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم
حتى استفرغ علم جميعها عنده وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك
والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته صلى الله عليه وسلم الى ما لا يعلمه واما
ما تعلق بعقده صلى الله عليه وسلم من ملكوت السموات والارض وخلق الله تعالى
وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه صلى الله عليه وسلم الا بوحي فعلى ما تقدم
من انه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو
صلى الله عليه وسلم فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله
عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على قلب
بشر و فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك بكل اسم
سميت به نفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره رحمهم الله تعالى حتى ينتهي العلم الى الله تعالى
وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تبارك وتعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل
واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه
لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله تعالى
حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن
الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به
قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى
اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها
بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها
وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا
بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني
آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له صلى الله عليه
وسلم في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فاسره ففي الصحاح قال ابو هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق
في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت
ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وفي
حديث ابي الدرداء رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس
جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة

وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب
ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه
جبريل صلى الله عليهما وسلم ما يتعوذ به منه وذكره في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه صلى الله
عليه وسلم بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن ملك رضي الله عنه وهو قوله تعالى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر بشأنه صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله تعالى أمره وعصمه من ضره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في
الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان تكون بك ذات
الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى
انها راجعة الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين ثم قال تعالى واما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ ههنا الفساد كما قال تبارك وتعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى
انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان في اغرائه به وخواطر ادنى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفي امره ويكون سبب تمام
عصمته صلى الله عليه وسلم اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان
في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله تعالى
الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهر

لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية
فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين
والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه
الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التأويل ما يزيله الله تعالى وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي
الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
رحمه الله تعالى انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان صلى الله
عليه وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام مبينة
بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي رحمه الله تعالى
في قصة ايوب صلى الله عليه وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه
لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله عز وجل وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي رحمه الله تعالى وقد
قيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله عليه السلام فان قلت
فما معنى قوله تبارك وتعالى عن يوشع عليه السلام وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره وقوله تعالى عن يوسف صلى الله عليه فانساه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان
وقول موسى صلى الله عليه في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان
او فعله كما قال الله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع صلى الله عليه لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى صلى الله عليهما قال الله تعالى

واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى صلى الله عليهما
وقيل قبيل موته وقول موسى صلى الله عليه كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة
يوسف صلى الله عليه قد ذكر انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون رحمهم الله
تعالى في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شأن يوسف
صلى الله عليه وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف
ويوشع صلى الله عليهما بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسلطه عليه صلى الله وسلم ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان اتى
بلالا فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق
حديث زيد بن اسلم رضي الله عنه فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع
اشكاله فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه صلى الله عليه وسلم
معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله
تعالى صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني رحمه الله تعالى
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني

رحمه الله تعالى ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره
فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم خلف في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر صلى الله عليه وسلم عن ربه
تبارك وتعالى وبما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي
الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت
يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم
فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه في دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ
عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي
فيما يذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه
صلى الله عليه وسلم في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو
جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق رحمة الله تعالى عليه
فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي
اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه
وسلم وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى

ان لو انزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه
شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه صلى الله عليهما وسلم فعرض
عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين الايتين فحزن
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له صلى الله عليه وسلم
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله سبحانه وتعالى وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الآية فاعلم اكرمك الله تعالى ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة
بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي
رحمه الله تعالى حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه
حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا اقراتك وآخر يقول
بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة
ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم
ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه
حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار رحمه الله تعالى هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله

عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره
يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما فقد بين لك ابو بكر رحمه الله تعالى انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به
ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي رحمه الله تعالى فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران
ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل صلى الله عليهما وسلم وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله
عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع
عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او
ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل
او يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الآية وقال تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا او عرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة

المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى
شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل
ولو كان ذلك لوجدت بها قريش على المسلمين الصولة ولاقامت بها الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرا حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة.
وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند
فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها
ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان
فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الآيتين وهاتان
الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري
وانه لولا ان ثبته لقد كاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه
صلى الله عليه وسلم من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في اخبارهم الواهية انه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وانه عليه الصلوة والسلام قال افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل
قوله تبارك وتعالى في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهبها وقال تعالى اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
رحمه الله تعالى ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر صلى الله عليه وسلم بآلهتهم ان يقبل

بوجهه

بوجهه عليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري رحمة الله
عليه: ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير
اخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها
فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله سبحانه وتعالى من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب
عن ذلك ائمة المسلمين رحمهم الله تعالى باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي
قتادة ومقاتل رحمة الله عليهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند
قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه ولا يستولي
الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جميع
العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال
ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا
لا يصح ان يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول ابرهيم صلى الله عليه هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا
بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر رحمه الله
تعالى ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام فيها قبل غير
ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين رحمهم الله تعالى
على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه عز وجل يرتل القرآن ترتيلا

ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى
وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه
وقد حكى موسى بن عقبة رحمه الله تعالى في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين رضي الله
عنهم لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي
من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة
ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه صلى الله عليه وسلم
لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه صلى الله
عليه وسلم من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا رحمه الله تعالى
روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا
والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر
الكلبي رحمه الله تعالى الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار يعتقدون الاوثان
والملائكة بنات الله سبحانه وتعالى كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى فانكر الله سبحانه وتعالى كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة عليهم السلام صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس

من

ذلك صح

عليهم

عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان واحكم
آياته ورفع تلاوة تينك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما
نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي
شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي صلى الله عليه وسلم بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك عليه واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك
الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع
ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي
من قصة يونس صلى الله عليه انه وعد قومه العذاب عن ربه تبارك وتعالى فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا قال القاضي
رحمه الله تعالى فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب
ان يونس صلى الله عليه قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم راوا
دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى
غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القمر فان قلت فما معنى ما روي ان عبد الله

ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش
فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له
فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا
ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر
بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر قد افترى هو ومثله على الله
ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد
صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة رضي الله عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية وما وقع من ذكرها في حديث
انس رضي الله عنه وظاهر حكايتها فليس فيها ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع
وقد علل البزار رحمه الله تعالى حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه
حميد عن انس رضي الله عنه قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي رضي الله عنه
ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد رحمهما الله تعالى والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس رضي الله عنه الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه
وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله وسلم فيما اوحي اليه ولا
جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من
عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل

على الرسول

على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول صلى الله عليه وسلم لها اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع
البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله تعالى من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست
من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما
معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها
ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم
غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك الكتاب كيف شاء
فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها
الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء
من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم
معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة رضي الله عنهم

وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت
وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي
على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا
اخرجت من خيبر فقال له اليهودي لعنه الله كانت هزيلة من ابي القسم فقال عمر
رضي الله عنه كذبت يا عدو الله وايضا فان آثاره صلى الله عليه وسلم واخباره
وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه الصلوة والسلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما اشار به على الانصار
رضي الله عنهم في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي
ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله عليه وسلم
انكم تختصمون الي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر
كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى
مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء والاخبار بخلاف
ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء رحمهم الله تعالى الحديث عمن عرف بالوهم
والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور
الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه منصب
النبوة عنه والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشنع مما يخل بصاحبها وتزري
بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري
على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره

سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء صلى الله عليه وسلم خلف في القول في وجه من
الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها
من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
بما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا
من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه
فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا
به الفقيه ابو اسحق ابرهيم جعفر حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد
حدثنا ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابي سفين مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر
صلى الله عليه وسلم بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له صلى الله عليه
وسلم ذو اليدين رضي الله عنه قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله تعالى
واياك ان للعلماء رحمهم الله تعالى في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها
ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما
ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله صلى الله عليه وسلم جملة

ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صلى الله عليه وسلم صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة
ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو
عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة
منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق
وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه
لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهو صدق ايضا ووجه
ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها
ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن
اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت
فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه
كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره
على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه
نسي وبقوله صلى الله عليه وسلم في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن
انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه
صلى الله عليه وسلم نسي واجرى عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم
على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ رحمهم الله تعالى وذلك
انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان

قال

قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي عليه الصلوة والسلام
يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم
ما قصرت وما نسيت خلف في قول وعندي ان قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت
وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم
من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل
على ذلك قوله عليه الصلوة والسلام في الحديث الصحيح اني لانسى او انسى لاسن
واما قصة كلمات ابرهيم صلى الله عليه وسلم المذكورة في الحديث انها كذبات الثلث
المنصوصة في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب
اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره رحمة الله عليهم معناه ساسقم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما شاهدته من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا
ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف
ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك
وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله
سبحانه وتعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط
نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا
ولا خلف فيه واما قوله صلى الله عليه وسلم اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي

في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي
صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابرهيم صلى الله عليه وسلم من مواخذته بها واما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر
لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم لوجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث
عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا
خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله تعالى عليه
ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا خبر قد انبا الله تبارك وتعالى انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله
على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا تقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد
يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة
وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى
من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم على
الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما قاله العلماء رحمهم الله تعالى انكار هذا
القول عليه لانه صلى الله عليه وسلم لم يرد العلم اليه سبحانه كما قالت الملائكة عليهم
السلام لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم

لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه علو درجته من امته فيهلك
لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبيا صلى الله عليهم وسلم فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى
به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم
ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر عليه السلام لقوله فيه انه
اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا صلى الله عليهم وسلم
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن
قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون انما فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه
ما علمنا انه كان في زمن موسى صلى الله عليه وسلم نبي غيره الا اخاه هرون
وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك
ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج الى اثبات نبوة
خضر عليه السلام ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم
من الخضر فيما اخذه عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما
الجئ موسى صلى الله عليه الى الخضر عليه السلام للتاديب لا للتعليم فصل واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج عن جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر
الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا صلى الله عليهم وسلم
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور رحمهم الله تعالى في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر رحمه الله تعالى ومنعها غيره
بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق رحمهم الله
تعالى وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور

وقايل بانهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى
معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قوة لهم على المعاصي اصلا
واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين رحمهم الله
تعالى وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات بالشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت
طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين رحمت الله عليهم الى عصمتهم
عليهم الصلوة والسلام من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا ولاختلاف
الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره ان كل ما عصي الله تعالى به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغيرة
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه وتعالى في اي امر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى لا يمكن
ان يقال في معاصي الله تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشية
في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير
من ائمة الفقها رحمهم الله تعالى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وقال
بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير
وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروة واوجبت الازرا والخساسة فهذا ايضا مما يعصم منه الانبيا عليهم
الصلوة والسلام اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبيا صلى الله عليهم وسلم منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح
الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم من مواقعة المكروه

قصدا وقد استدل بعض الايمة رحمهم الله تعالى على عصمتهم صلوات الله عليهم وسلامه
من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور
الفقها على ذلك من اصحاب ملك والشافعي وابي حنيفة رحمت الله عليهم
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز
منداذ وابو الفرج عن ملك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار
واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية
رحمهم الله تعالى واكثر الشافعية رحمهم الله تعالى على ان ذلك ندب وذهبت
طايفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به
مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة
او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرا بامتثال امر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين
رحمهم الله تعالى ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا
صلى الله عليه وسلم مجمعون انه لا يقر على منكر من قول وفعل وانه متى راى شيا
فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق
غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم صلى الله عليهم وسلم
من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتدا بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة رضي الله عنهم
قطعا الاقتدا بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن
كالاقتدا باقواله صلى الله عليه وسلم فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع نعله صلى الله عليه وسلم واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهم
اياه صلى الله عليه وسلم جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رضي الله عنه رايت

رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها انى اقبل وانا
صائم وقالت عائشة رضى الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضب صلى الله عليه وسلم على الذى اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشاء وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار فى هذا اكثر من ان يحاط
بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم رضى الله عنهم افعاله صلى الله عليه
وسلم واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شئ منها لما اتسق هذا ولنقل
عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه الصلوة والسلام على الآخر قوله
واعتذاره بما ذكرنا واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح
بل هى مأذون فيها وايديهم كايدى غيرهم مسلطة عليها الا انهم صلوات الله
وسلامه عليهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله تعالى والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات
الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا
فى خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله تعالى على
نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم الصلوة والسلام بان جعل سبحانه وتعالى افعالهم
قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل
وقد اختلف فى عصمتهم صلى الله عليهم وسلم من المعاصى قبل النبوة فمنعها
قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان
المعاصى والنواهى انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس فى حال
نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله او لا فقالت
جماعة لم يكن صلى الله عليه وسلم متبعا لشئ وهو قول الجمهور فالمعاصى على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة فى حقه صلى الله عليه وسلم حينئذ اذ الاحكام الشرعية

انما تعلق

انما تتعلق بالاوامر والنواهى وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه
المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضى ابو بكر رحمه الله
تعالى الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته
انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان من مهم امره
واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم
يؤثر شئ من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهى
طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر رحمه الله
تعالى اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف فى امره صلى الله عليه وسلم وترك
قطع الحكم عليه بشئ فى ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندها فى احدهما طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى رحمة الله عليه بالسنة
وفرقة ثالثة الى انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل
يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم
على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل
ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فهذه
جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضى ابو بكر رحمه الله
تعالى وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم ان عيسى صلى الله عليه وسلم آخر الانبيا عليهم السلام
فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح
انه لم يكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للآخر
فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللآخر فى قوله تبارك وتعالى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الآية على اتباعهم فى التوحيد كقوله عز وجل
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث

ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم على قول من قال انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا وسهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق رحمه الله تعالى وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة

ذلك

ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه الصلاة والسلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه صلى الله عليه وسلم في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسة الامم ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته صلى الله عليه وسلم وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

وهو الصحيح

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلوة والسلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم

في الصلوة ثمنه احاديث اولها حديث ذي اليدين رضي الله عنه في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابن بحينة رضي الله عنه في القيام من اثنتين الثالث حديث
ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث
مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله تعالى فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو
في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد
قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى
انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ
شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع
وعيسى بن دينار رحمهما الله تعالى انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا
او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله تعالى يحتمل ما قالاه ان يريد
اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول
عن الشيء والسهو وانسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين
الى نفسه اذ كان له صلى الله عليه وسلم بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو
صلى الله عليه وسلم فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على
الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان
النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو
شغل فكان عليه الصلوة والسلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة
ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية
الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه صلى الله عليه وسلم وقالوا
ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه

مناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة
لهم في قولهم انه صلى الله عليه وسلم يتعمد صورة النسيان ليسن لقوله صلى الله
عليه وسلم اني لا انسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني رحمه الله تعالى ولم يرتضه غيره منهم ولا
ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه
نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله صلى الله عليه وسلم
بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر
الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك صلى الله عليه
وسلم الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن
من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم يوم الوادي
عن الصلوة وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء رحمهم الله تعالى
عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه صلى الله عليه وسلم عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته
ويصحح هذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال رضي الله عنه فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون
منه لامر يريده الله تعالى من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما
قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون
لمن بعدكم الثاني ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام

حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس رضي الله عنهما
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه صلى الله عليه وسلم مع اهله فلا
يمكن الاحتجاج به على وضوئه صلى الله عليه وسلم بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
او خطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى
اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه صلى الله عليه وسلم عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته صلى الله عليه
وسلم من استغراق النوم لما قال لبلال رضي الله عنه اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب
انه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح
ممن نامت عينه اذ هو ظاهر مدرك بالجوارح الظاهرة فوكل صلى الله عليه وسلم
بلالا رضي الله عنه بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلوة والسلام عن القول نسيت وقد
قال صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد
اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض في
هذه الالفاظ اما نهيه صلى الله عليه وسلم عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول
على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها
صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه سبحانه وتعالى والآخر على
طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم
يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من القلوب

ذكره استدراكه وقيل يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز
ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم
يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه صلى الله عليه وسلم لحفظ الله تعالى كتابه وتكليفه
بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك
اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا عليهم الصلوة والسلام من الفقهاء
والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق
الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلائل على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن
نأخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تبارك وتعالى لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله عز وجل ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك وقوله سبحانه عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عز وجل عبس وتولى الآية وما قص
من قصص غيره من الانبيا صلى الله عليهم وسلم كقوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وقوله عز وجل عنه صلى الله عليه وسلم ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله تعالى
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية وقوله عز وجل عن يونس صلى الله عليه
وسلم سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود صلى الله
عليهما وسلم وقوله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى ما آب وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته
صلى الله عليهم وسلم وقوله عز وجل عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه

قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته عليه الصلوة والسلام وذكر الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله صلى الله
عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه إني
لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح
صلى الله عليه وسلم وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين
ظلموا إنهم مغرقون وقال تبارك وتعالى عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم والذي أطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله تبارك وتعالى عن موسى صلى الله عليه وسلم
تبت إليك وقوله عز وجل ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر قال القاضي
رحمه الله تعالى فأما احتجاجهم بقوله سبحانه وتعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه صلى الله عليه وسلم مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر رحمة الله عليه
وقيل المراد بذلك أمته عليه الصلوة والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري رحمهما الله تعالى وقيل ما تقدم لأبيك
آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء رحمهم الله
تعالى وبمثله والذي قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
قال مكي رحمه الله تعالى مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لأمته وقيل
إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فأنزل الله تبارك وتعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل
المؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الآية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة
من العيوب وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل

ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة رحمهم الله
تعالى وقيل معناه أنه صلى الله عليه وسلم حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك
لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي رحمه الله تعالى وقيل المراد بذلك ما أثقل
ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك
ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي رحمه الله تعالى وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري رحمه الله تعالى
وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله تعالى له صلى الله
عليه وسلم وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة
أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له صلى الله عليه وسلم
بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما قوله تبارك وتعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تبارك وتعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم رحمهم الله تعالى
معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه رحمه الله تعالى وقد حاشاه
الله تعالى من ذلك بل كان صلى الله عليه وسلم مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له
صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله
تبارك وتعالى له صلى الله عليه وسلم فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله
تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه صلى الله عليه وسلم
لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا
الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري رحمه الله تعالى قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف

كلام العرب قال ومعناه عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الداودى رحمه الله
تعالى روى انها تكرمة قال مكى رحمه الله تعالى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك وحكى السمرقندى رحمه الله تعالى ان معناه عافاك الله واما قوله سبحانه
وتعالى فى اسارى بدر ما كان لنبى ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام
ذنب للنبى صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم فكانه قال ما كان هذا لنبى غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم
احلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى فان قيل فما معنى قوله عز وجل تريدون عرض
الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبى صلى الله عليه وسلم ولا علية
اصحابه رضى الله عنهم بل قد روى عن الضحاك رحمه الله تعالى انها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشى عمر رضى الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب
من الله سبق فاختلف المفسرون رحمهم الله تعالى فى معنى هذه الآية فقيل معناها
لولا انه سبق منى ان لا اعذب احدا الا بعد النهى لعذبتكم فهذا ينفى ان يكون
امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق
فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال
لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب
من تعدى وقيل لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا
كله ينفى الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان قد خير عليه الصلوة والسلام فى ذلك
وقد روى عن على رضى الله عنه قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليهما وسلم
يوم بدر فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء
على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة

ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان
الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم رضى الله عنهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو
هذا اشار الطبرى رحمة الله عليه وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة لو نزل
من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأى من
اخذ بمأخذه فى اعزاز الدين واظهار كلمته واباده عدوه وان هذه القضية
لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر رضى الله عنه لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا لحلة لهم فيما سبق وقال
الداودى رحمه الله تعالى والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن
ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
فيه اليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضى بكر بن العلاء رحمه الله
تعالى اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ان تأويله وافق
ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا فى سرية عبد الله
ابن جحش رضى الله عنه التى قتل فيها ابن الحضرمى بالحكم بن كيسان وصاحبه
فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا
كله يدل على ان فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن الاسارى كان على
تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى
اراد لعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريف
ما كتبه فى اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه رحمه الله تعالى واما قوله تبارك وتعالى عبس وتولى الآيات
فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام بل اعلام الله تعالى ان
ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف
لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبى صلى الله عليه وسلم

لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له
كما شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له واما قصه الله تعالى عليه من ذلك
اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
تعالى وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام رحمه الله تعالى واما قصة آدم عليه الصلوة والسلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله سبحانه ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله تبارك وتعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد رحمه الله تعالى
نسى عداوة ابليس له وما عهد الله تعالى اليه من ذلك بقوله عز وجل ان هذا
عدو لك ولزوجك الآية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
رضى الله عنهما انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله تعالى حانثا وقد روى عذر آدم صلى الله عليه
وسلم بمثل هذا فى بعض الآثار وقال ابن جبير رحمه الله تعالى حلف بالله لهما حتى
غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى
ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر
وقيل كان صلى الله عليه وسلم عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى
وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره رحمة الله عليهم انه يمكن ان يكون ذلك
قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهدى كان بعد العصيان وقيل بل اكلها

مثاولا

مثاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تاول نهى الله تعالى عن شجرة
مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله
تعالى وعصى آدم ربه وقال تعالى فتاب عليه وهدى وقوله صلى الله عليه وسلم
فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت
فسياتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس عليه الصلاة والسلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس
فى قصة يونس صلى الله عليه وسلم نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب
مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا
من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم
قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية صلى الله عليه وسلم الا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى
اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون رحمهم الله تعالى تباعد واما قوله سبحانه
وتعالى انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه فهذا اعتراف
منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه تعالى او لضعفه
صلى الله عليه وسلم عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح صلى الله عليه وسلم
بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه تبارك وتعالى عن الظلم
واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا صلى الله
عليهما ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه الصلوة والسلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد

فی حدیث صحیح والذی نص الله تعالی علیه قوله عز وجل وظن داود انما فتناه الی قوله
وحسن مآب وقوله فیه اواب معنی فتناه ای اختبرناه واواب قال قتادة
رحمه الله تعالی مطیع وهذا التفسیر اولی قال ابن عباس وابن مسعود رضی الله عنهم
ما زاد داود صلی الله علیه وسلم علی ان قال للرجل انزل لی عن امرأتک واکفلنیها
فعاتبه الله تعالی علی ذلک ونبهه علیه وانکر علیه شغله بالدنیا وهو الذی ینبغی
ان یعول علیه من امره وقد قیل خطبها علی خطبته وقیل بل احب بقلبه ان
یستشهد وحکی السمرقندی رحمه الله تعالی ان ذنبه الذی استغفر منه قوله
لاحد الخصمین لقد ظلمک فظلمه بقول خصمه وقیل بل لما خشیه علی نفسه وظن
من الفتنة بما بسط له من الملک والدنیا والی نفی ما اضیف فی الاخبار الی
داود صلی الله علیه وسلم من ذلک ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغیرهما من
المحققین رحمهم الله تعالی وقال الداودی رحمه الله تعالی لیس فی قصة داود
صلی الله علیه وسلم واوریا خبر یثبت ولا یظن بنبی محبة قتل مسلم وقیل ان
الخصمین اللذین اختصما الیه رجلان فی نعاج غنم علی ظاهر الآیة واما قصة یوسف
واخوته علیهم الصلوة والسلام فلیس علی یوسف صلی الله علیه وسلم منها تعقب
واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فیلزم الکلام علی افعالهم وذکر الاسباط وعدهم
فی القرآن عند ذکر الانبیاء علیهم الصلوة والسلام قال المفسرون رحمهم الله تعالی
یرید من نبی من ابناء الاسباط وقد قیل انهم کانوا حین فعلوا بیوسف ما فعلوا
صغار الاسنان ولهذا لم یمیزوا یوسف حین اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله
معنا غدا یرتع ویلعب فان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله
تعالی فیه ولقد همت به وهم بها لولا ان رای برهان ربه فعلی طریق کثیر من الفقهاء
والمحدثین رحمهم الله تعالی ان هم النفس لا یؤاخذ به ولیست سیئة لقوله
صلی الله علیه وسلم عن ربه عز وجل اذا هم عبدی بسیئة فلم یعملها کتبت له
حسنة فلا معصیة فی همه اذا واما علی مذهب المحققین من الفقهاء والمتکلمین

رحمهم الله تعالی فان الهم اذا وطنت علیه النفس سیئة واما ما لم توطن علیه النفس
من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فیکون ان شاء الله تعالی
هم یوسف صلی الله علیه وسلم من هذا ویکون قوله وما ابرئ نفسی الآیة ای ما ابرئها
من هذا الهم او یکون ذلک منه علی طریق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زکی قبل وبرئ فکیف وقد حکی ابو حاتم عن ابی عبیدة رحمهما الله تعالی
ان یوسف صلی الله علیه وسلم لم یهم وان الکلام فیه تقدیم وتاخیر ای ولقد
همت به ولولا ان رای برهان ربه لهم بها وقد قال تبارک وتعالی عن المرأة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالی کذلک لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هیت لک قال معاذ الله
انه ربی الآیة قیل فی ربی الله تعالی وقیل الملک وقیل هم بها ای بزجرها
ووعظها وقیل هم بها ای غمها امتناعه عنها وقیل هم بها ای نظر الیها
وقیل هم بضربها ودفعها وقیل هذا کله کان قبل نبوته وقد ذکر بعضهم
ما زال النساء یملن الی یوسف صلی الله علیه وسلم میل شهوة حتی نبأه الله
تعالی فالقی علیه هیبة النبوة فشغلت هیبته کل من رآه عن حسنه
واما خبر موسی علیه الصلوة والسلام مع قتیله الذی وکزه فقد نص الله تعالی
انه من عدوه قیل کان من القبط الذی علی دین فرعون ودلیل السورة
فی هذا کله انه قبل نبوة موسی صلی الله علیه وسلم وقال قتادة رحمه الله تعالی
وکزه بالعصا ولم یتعمد قتله فعلی هذا لا معصیة فی ذلک وقوله هذا من عمل الشیطان
وقوله ظلمت نفسی فاغفر لی قال ابن جریج رحمة الله علیه قال ذلک جریج
من اجل انه لا ینبغی لنبی ان یقتل حتی یؤمر وقال النقاش رحمه الله تعالی
لم یقتله عن عمد مریدا للقتل وانما وکزه وکزة یرید بها دفع ظلمه قال وقد قیل
ان هذا کان قبل النبوة وهو مقتضی التلاوة وقوله تعالی فی قصته وفتناک
فتونا ای ابتلیناک ابتلاء بعد ابتلاء قیل فی هذه القصة وما جری له مع فرعون

وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد رحمهما الله تعالى من قولهم فتنت الفضة في النار
اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك
الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى صلى الله عليه
وسلم بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه وجائز الفعل
لان موسى صلى الله عليه وسلم دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في
صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت صلى الله عليهما وسلم
فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله تعالى لهما فلما جاءه بعد واعلمه الله تعالى انه
رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين عن هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري رحمه الله تعالى
وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان
عليه الصلوة والسلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا
سليمن فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو
الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته صلى الله عليه
وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه
وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل

عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم
وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما قاله الاخباريون من تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا سلطان لها
على مثل هذا وقد عصم الانبيا صلى الله عليهم وسلم من مثله وان سئل لم لم يقل
سليمان صلى الله عليه وسلم في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه جوابان
احدهما ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله
تعالى والثاني انه صلى الله عليه وسلم لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمن صلى الله عليه وسلم غيرة على الدنيا
ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه
احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل بل اراد ان يكون له من الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله صلى الله عليهم وسلم بخواص منه وقيل ليكون ذلك
دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد
صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه الصلوة والسلام
فظاهر العذر وانه صلى الله عليه وسلم اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك
لا انه شك في وعد الله تعالى فبين الله تعالى عليه انه ليس من اهله الذين
وعده الله تعالى بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه تعالى لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح صلى الله عليه وسلم
فيما حكاه النقاش رحمه الله تعالى لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح صلى الله عليه وسلم بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله
واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا

قرصته نملةٌ فحرّق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة واحدة
احرقت امة من الامم تسبّح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصيةً
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى
الا ترى ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت شجرة فلما اذته النملة تحوّل
برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصيةً
بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفّي كما قال تبارك وتعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله صلى الله عليه انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته
فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في
كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار منه والله اعلم فصل فان قلت فاذا انتفت عنهم صلوات الله
وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل
المحققين رحمهم الله تعالى فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء صلى الله عليهم وسلم بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر
من لا شيء فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنّته في عباده وعظيم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها
او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ
من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم
فكان هذا ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم

وظواهرهم

وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى
واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش
بما يكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو
او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله تعالى غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي
التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت
امنيته وهذا يوسف عليه الصلوة والسلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي
السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن
بضع سنين قيل انسي يوسف صلى الله عليه وسلم ذكر الله تعالى وقيل
انسي صاحبه ان يذكره صلى الله عليه وسلم لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه
وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار رحمه الله تعالى
لما قال ذلك يوسف صلى الله عليه وسلم قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم اخذ الانبياء
صلى الله عليهم وسلم بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده وتجاوز عن ساير الخلق لقلة
مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى
على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم يؤاخذون بهذا
مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا
اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله تعالى انا لا نثبت لك المواخذة في هذا على
حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة
في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبهم
كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال تعالى لداود صلوات الله عليه
فغفرنا له ذلك الآية وقال تعالى بعد قول موسى صلى الله عليه وسلم تبت اليك اني

فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام [illegible]

اصطفيتك على الناس وقال تعالى بعد ذكر فتنة سليمن صلى الله عليه وسلم وانابته
فسخرنا له الريح الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبيا عليهم الصلوة
والسلام زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمنا وايضا
فليتنبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في رتبتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقد والمحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن
بملاحظة ما وقع باهل هذا النمط الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال
صالح المري رحمة الله عليه ذكر داود صلى الله عليه وسلم بسطة للتوابين قال
ابن عطا رحمه الله تعالى لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت
صلى الله عليه وسلم نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه الصلوة والسلام
وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير
ولا خلاف لعصمة الانبيا عليهم الصلوة والسلام من الكباير فما جوزتم من
وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف
الانبيا صلى الله عليهم وسلم وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا
فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى
على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتاخر
افلا اكون عبدا شكورا وقال صلى الله عليه وسلم اني لاخشاكم لله واعلمكم بما
اتقي قال الحرث بن اسد رحمه الله تعالى خوف الملائكة والانبيا عليهم
الصلوة والسلام خوف اعظام وتعبد لله تعالى لانهم آمنون وقيل فعلوا
ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى
آخر لطيفا اشار اليه بعض العلما رحمهم الله تعالى وهو استدعا محبة الله تعالى

في الظاهر حيلا

النصاب

قال الله

قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبيا
عليهم الصلوة والسلام الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعا
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة
والسلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الاية وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته
عليه الصلاة والسلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا
ولا بشيء مما قرره صلى الله عليه وسلم من امور الشرع واداه عن ربه عز وجل
من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه
الله تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه صلى الله عليه وسلم
شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير
اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط
والنسيان عليه صلى الله عليه وسلم فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته
من رضى وغضب وجد ومزح ما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد
عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فايدتها وخطرها
فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا
يعرف صور احكامه لا يؤمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه
ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى الله عليه وسلم على الرجلين الذين
رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية رضي الله عنها فقال لهما انها
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف

في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي رضي الله عنه هذه اكرمك الله تعالى
احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا
من هذا يرى ان الكلام فيه جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان
لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول
الفقه وتنبني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي
الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو
باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته صلى الله عليه وسلم
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف
في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة
يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا
من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع
فيه والخلاف كيف يصمم في الفتوى في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه
نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام فصل في القول
في عصمة الملائكة عليهم السلام قال القاضي رضي الله عنه اجمع المسلمون ان الملئكة
عليهم السلام مؤمنون فضلا واتفق ائمة المسلمين رحمهم الله تعالى ان حكم
المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق
الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت
طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون

يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله تبارك وتعالى ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله تعالى كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم
والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل الاخبار والتفاسير رحمهم الله تعالى
نحن نذكرها بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله تعالى والصواب عصمة جميعهم
وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم
ورأيت بعض شيوخنا رحمهم الله تعالى اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا عليهم الصلوة
والسلام من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي
ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت
وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله
عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه الاخبار لم يرو منها
شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير
من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله
تعالى اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمن صلى الله عليه وسلم وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف
غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالى قال القاضي رحمه الله تعالى
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما
المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين
وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن
قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له انذار اي يقولان لمن جاءهما

يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر
فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس معصية وهي لغيرهما
فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران رحمهما الله تعالى انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال رحمه الله تعالى نحن ننزههما
عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه مأذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ننزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار قال مكي رحمة الله عليه
وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل صلى الله
عليهما ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمن صلى الله عليه وسلم
فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن رحمه الله تعالى
هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون
ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هاهنا داود وسليمن صلى الله عليهما وسلم وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا
ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي رحمه الله تعالى والقراءة
بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة
ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه تبارك وتعالى استثناه من الملائكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن
كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد رحمهم الله تعالى وقال شهر

ابن حوشب

ابن حوشب رحمه الله تعالى كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله
تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له
من ذكر الله تعالى الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم صلوات الله وسلامه عليهم في الامور الدنيوية
وما يطرأ عليهم من العوارض البشرية قال القاضي رحمه الله تعالى قد قدمنا انه صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام من البشر وان جسمه
وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام
وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه صلى الله عليه وسلم
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله
تعالى على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع
البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلوة والسلام واشتكى واصابه الحر والقر
وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه
الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق
بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي
لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ما هو اعظم منها
فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه الصلوة والسلام من الناس
فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه اهل الطائف
عند دعوته فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى ثور وامسك
سبحانه عنه صلى الله عليه وسلم سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن

لم يَقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سمّ اليهودية وكذا ساير انبيائه
صلواته وسلامه عليهم مُبتلى ومُعافى وذلك من تمام حكمته سبحانه وتعالى
ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبيّن امرهم ويتمّ كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وليكون في محنهم
تسلية لاممهم ووفور في اجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض
المحققين رحمهم الله تعالى وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص
باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس
واما بواطنهم صلى الله عليه وسلم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان عينيّ تنامان ولا ينام قلبي وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم
اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال صلى الله عليه وسلم لست انسى
ولكن انسّى ليستن بي فاخبر صلى الله عليه وسلم ان سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل شيء منها باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان
غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه الصلوة والسلام في نومه
حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه صلى الله عليه وسلم كان
محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله
عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله صلى الله عليه وسلم اني
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني قال القاضي رحمه الله تعالى وكذلك
اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به

كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سُحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقرائتي
عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل حدثنا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان
يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه
وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد
طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى
التشكيك في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل
في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع
الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه صلى الله
عليه وسلم كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
صلى الله عليه وسلم من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امور دنياه التي لم يبعث
بسببها ولا فضّل من اجلها وهو صلى الله عليه وسلم فيها عرضة للآفات كسائر
البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا
فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن
وقد قال سفيان رحمه الله تعالى وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات بخبر منها انه
نقل عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه
فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله

على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه
من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في
الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث
وهو ان عبد الرزاق رحمه الله تعالى قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله تعالى
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن
ابن كعب وعمر بن الحكم رحمهم الله تعالى وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن
يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان
فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث وقال عبد الرزاق رحمه الله
تعالى حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره
وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد
استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
صلى الله عليه وسلم وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره
وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل
اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على
النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض بل زادوا عليه في قوله انه ما نقل عنه شئ على خلاف معتقده ولعله
لمثل هذا اشار سفين رحمه الله تعالى بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قولها
عائشة رضي الله عنها في الرواية الاخرى انه يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فمن باب
ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه او شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشئ

طرأ عليه في بصره واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له صلى الله عليه وسلم وتأثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا فصل هذه حاله صلى الله عليه وسلم
في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبنا المتقدم بالعقد
والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشئ على وجه
ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر
سفين بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر
حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا
مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر
ابن محمد حدثني عكرمة حدثنا ابو النجاشي حدثنا رافع بن خديج رضي الله عنه قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال عليه الصلاة
والسلام ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم
فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيي فانما انا بشر وفي رواية انس رضي الله عنه
انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي
فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه
وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق رحمه الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر رضي الله عنه اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا
ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة فقال لا بل هو الرأي والحرب
والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم اشرت بالرأي

وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واراد صلى الله عليه
وسلم مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار رضي الله عنهم فلما
اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة
وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملان الجوانح بعلوم الشريعة مقيد
البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في
النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر النقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا
ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب
معجزاته صلى الله عليه وسلم من هذا الكتاب فصل قال القاضي رحمه الله تعالى واما
ما يعتقده صلى الله عليه وسلم في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق
من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر
وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع
منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار
حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا
ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير انا سفين عن هشام بن عروة عن
ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض
فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تبارك وتعالى لو شاء لاطلعه الله
على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف

او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته صلى الله عليه وسلم باتباعه
والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه
ويؤثره الله تعالى به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في شيء
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه
هو في تلك القضية بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى له صلى
عليه وسلم بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى
احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته
به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل
المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من علم الغيب
الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته صلى
عليه وسلم فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله
او فعله صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى
اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم
ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
صلى الله عليه وسلم ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته
وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم لاحملنك على ابن
الناقة وقوله صلى الله عليه وسلم للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض

وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى اذًا قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم في قصة زيد رضي الله عنه واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر صلى الله عليه وسلم زيدا رضي الله عنه بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله عنهما ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب رضي الله عنها ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله تعالى مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين رحمهم الله تعالى في قوله عز وجل بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره صلى الله عليه وسلم معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري رحمه الله تعالى ما كان الله تعالى ليؤثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه عندما اعجبته

ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه الى ما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام قال القشيري رحمه الله تعالى وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي رضي الله عنها بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه الصلوة والسلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها رضي الله عنهما وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك رحمه الله تعالى وقال ابو الليث السمرقندي رحمة الله تعالى عليه فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله تعالى به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى ان يتزوجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين رضي الله عنهما وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري رحمه الله تعالى وعليه عول ابو بكر بن فورك رحمة الله عليه وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير رحمهم الله تعالى قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى

عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك
بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه
الاستحيا اى يستحيى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى الله عليه وسلم
من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى
على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه صلى الله عليه وسلم
على مراعات رضى ازواجه رضى الله عنهن فى سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم
ما احل الله لك الاية كذلك قوله تعالى له ههنا وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعايشة رضى الله عنهما لو كتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل
فان قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم فى اقواله فى جميع احواله وانه
لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح
ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث فى وصيته صلى الله عليه وسلم الذى حدثنا
به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله تعالى حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا ابو ذر
حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق بن همام عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله
ابن عبد الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى البيت رجال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفى
رواية ائتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه
فقال دعونى فان الذى انا فيه خير وفى بعض طرقه فقال ان النبى يهجر وفى رواية
هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى

رواية

رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر رضى الله عنهم قال ايمتنا رحمهم الله تعالى
فى هذا الحديث النبى صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشى ونحوه مما يطرا على جسمه معصوما ان يكون منه من القول
اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته صلى الله عليه وسلم ويؤدى الى فساد فى شريعته
من هذيان او اختلال فى كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى هذا الحديث
هجرا اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر
وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه
فى صحيح البخارى رحمه الله تعالى من رواية جميع الرواة فى حديث الزهرى المتقدم
وفى حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه وغيره
من هذا الطريق وكذا رويناه عن مسلم فى حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه
رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول
القايل هجر او اهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم
بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه
اعتقد انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله
تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما رواية اهجرا وهى رواية ابى
اسحق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا على المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا
بعد امره لهم عليه الصلوة والسلام بان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر
النبى صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر

جئتم محكا

من قراين قوله عليه الصلوة والسلام لبعضهم فافهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى
اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن
عزمة ولما راوه من صواب راى عمر رضى الله عنه ثم هولاء قالوا ويكون امتناع عمر رضى الله
عنه اما اشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب
وان تدخل عليه صلى الله عليه وسلم مشقة من ذلك كما قال رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشى عمر رضى الله عنه ان يكتب صلى الله
عليه وسلم امورا يعجزون عنها فيحصلون فى الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة
فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطى
ماجورا وقد علم عمر رضى الله عنه تقرر الشريعة وتاسيس الملة وان الله تعالى قال
اليوم اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر
رضى الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبى صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر رضى الله عنه خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب
فى ذلك الكتاب فى الخلوة وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة
والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة
اخرى ان معنى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب
لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه رضى الله عنهم فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القصة
بقول العباس لعلى رضى الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة على رضى الله عنه هذا وقوله والله لا افعل
الحديث واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم دعونى فان الذى انا فيه خير اى الذى
انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعونى من الذى طلبتم وذكر
ان الذى طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل

ثم وجه حديثه ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى بقراتى عليه حدثنا ابو على
الطبرى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى حدثنا ابرهيم بن سفين
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابى سعيد عن سالم مولى
النصريين قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة وفى رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفى رواية ليس لها
باهل وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة
وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك
عند الغضب وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
ان قوله صلى الله عليه وسلم اولا ليس لها باهل اى عندك يا رب فى باطن امره
فان حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر كما قال وللحكمة التى ذكرناها فحكم عليه
الصلوة والسلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا عليه الصلوة والسلام لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التى
وصفه الله تعالى بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه
وفعله له رحمة فهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه
وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم اغضب كما يغضب البشر ان
الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله تعالى
حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان
مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم
امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله تبارك وتعالى وقد يحمل ما ورد من دعائه

صلى الله عليه وسلم هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد
بل بما جرت فيه عادة العرب وليس المراد به الاجابة كقوله صلى الله عليه وسلم
تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته صلى الله
عليه وسلم وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث انه لم يكن فحاشا
وقال انس رضي الله عنه لم يكن صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا
وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم اشفق عليه الصلوة والسلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه تعالى
كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا منه صلى الله عليه وسلم لربه تعالى لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته
له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك
شيئا فعوقب به فهو له كفارة قال القاضي رحمه الله تعالى فان قلت
فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه
مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله
عليه وسلم ندب الزبير رضي الله عنه اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير رضي الله عنه حقه ولهذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان
نهى صلى الله عليه وسلم ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه صلى الله عليه وسلم في حكمه
في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته
صلى الله عليه وسلم عكاشة رضي الله عنه من نفسه لم يكن لتعمد حملة الغضب عليه
بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة رضي الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم
وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر
مع الاعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي رضي الله
عنه قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يابى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه
صواب وموضع ادب لكنه عليه الصلوة والسلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر
حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني
قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه الصلوة والسلام
لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده
طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل قال القاضي رحمه الله تعالى واما افعاله
صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان
هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله عليه وسلم على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه وسلم

لا یأخذ منها لنفسه الا ضرورته و ما یقیم رمق جسمه وفیه مصلحة ذاته التی بها یعبد
ربه ویقیم شریعته ویسوس امته وما کان فیما بینه وبین الناس من ذلک فبین
معروف یصنعه او بر یوسعه او کلام حسن یقوله او یسمعه او تألف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وکل هذا لاحق بصالح اعماله صلی الله علیه وسلم منتظم فی زاکی
وظایف عباداته وقد کان صلی الله علیه وسلم یخالف فی افعاله الدنیویة بحسب
اختلاف الاحوال ویعد للامور اشباهها فیرکب فی تصرفه لما قرب الحمار وفی
اسفاره الراحلة ویرکب البغلة فی معارک الحرب دلیلا علی الثبات ویرکب
الخیل ویعدها لیوم الفزع واجابة الصارخ وکذلک فی لباسه صلی الله علیه وسلم
وسایر افعاله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وکذلک یفعل الفعل من امور
الدنیا مساعدة لامته وسیاسة وکراهیة لخلافها وان کان قد یری غیره خیرا منه
کما یترک الفعل لهذا وقد یری فعله خیرا منه وقد یفعل هذا فی الامور الدینیة مما له الخیرة
فی احد وجهیه کخروجه صلی الله علیه وسلم من المدینة لاحد وکان مذهبه التحصن بها
وترکه قتل المنافقین وهو صلی الله علیه وسلم علی یقین من امرهم مؤلفة لغیرهم
ورعایة للمؤمنین من قرابتهم وکراهة لان یقول الناس ان محمدا یقتل اصحابه
الصحیح
کما جاء فی الحدیث وترکه صلی الله علیه وسلم بناء الکعبة علی قواعد ابرهیم علیه الصلوة
والسلام مراعاة لقلوب قریش وتعظیمهم لتغییرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلک
وتحریک متقدم عداوتهم للدین واهله فقال صلی الله علیه وسلم لعایشة رضی الله عنها
فی الحدیث الصحیح لولا حدثان قومک بالکفر لاتممت البیت علی قواعد ابرهیم
ویفعل الفعل ثم یترکه لکون غیره خیرا منه کانتقاله صلی الله علیه وسلم من ادنی
میاه بدر الی اقربها للعدو من قریش وکقوله صلی الله علیه وسلم لو استقبلت من امری
ما استدبرت لما سقت الهدی ویبسط صلی الله علیه وسلم وجهه للکافر والعدو
رجاء استیلافه ویصبر صلی الله علیه وسلم للجاهل ویقول ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره ویبذل له الرغایب لیحبب الیه شریعته ودین ربه ویتولی صلی الله علیه وسلم

فی منزله

فی منزله ما یتولاه الخادم من مهنته وتسمت فی ملایه حتی لا یبدو منه شیء من اطرافه
وحتی کان علی رؤس جلسایه الطیر ویتحدث صلی الله علیه وسلم مع جلسایه بحدیث
اولهم ویتعجب مما یتعجبون منه ویضحک مما یضحکون منه قد وسع الناس بشره
وعدله لا یستفزه الغضب ولا یقصر عن الحق ولا یبطن علی جلسایه یقول
صلی الله علیه وسلم ما کان لنبی ان تکون له خائنة الاعین فان قلت فما معنی
قوله صلی الله علیه وسلم لعایشة رضی الله عنها فی الداخل علیه بئس ابن العشیرة
فلما دخل الان له القول وضحک معه فلما سألته عن ذلک قال ان من شر الناس
من اتقاه الناس لشره وکیف جاز ان یظهر له خلاف ما یبطن ویقول فی ظهره
ما قال فالجواب ان فعله صلی الله علیه وسلم کان استیلافا لمثله وتطییبا لنفسه
لیتمکن ایمانه ویدخل فی الاسلام بسببه اتباعه ویراه مثله فینجذب بذلک الی الاسلام
ومثل هذا علی هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنیا الی السیاسة الدینیة وقد کان
صلی الله علیه وسلم یستألفهم باموال الله العریضة فکیف بالکلمة اللینة قال
صفوان رضی الله عنه لقد اعطانی رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو ابغض الخلق
الی فما زال یعطینی حتی صار صلی الله علیه وسلم احب الخلق الی وقوله صلی الله علیه
وسلم فیه بئس ابن العشیرة هو غیر غیبة بل هو تعریف ما علمه منه لمن لم یعلم لیتحذر
حاله ویحترز منه ولا یوثق بجانبه کل الثقة لا سیما وکان مطاعا متبوعا ومثل
هذا اذا کان لضرورة ودفع مضرة لم یکن بغیبة بل کان جایزا بل واجبا فی بعض
الاحیان کعادة المحدثین فی تجریح الرواة والمزکین فی الشهود فان قلت
فما معنی المعضل الوارد فی حدیث بریرة رضی الله عنها من قوله صلی الله علیه وسلم
لعایشة رضوان الله علیها وقد اخبرته ان موالی بریرة ابوا بیعها الا ان یکون
لهم الولاء فقال لها صلی الله علیه وسلم اشتریها واشترطی لهم الولاء ففعلت
ثم قام صلی الله علیه وسلم خطیبا فقال ما بال اقوام یشترطون شروطا لیست
فی کتاب الله کل شرط لیس فی کتاب الله فهو باطل والنبی صلی الله علیه وسلم

قدامها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة رضي الله عنها
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع
في باب الجاهل هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه
الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق هذا الحديث ومع ثباتها
فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى
وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله
صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق
فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي
وغيره رحمهم الله تعالى وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي
لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم
منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه الصلوة والسلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف صلى الله عليه وسلم كان عن
امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف
صلى الله عليه وسلم كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فكان ما جرى
عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة
عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف صلى الله عليه وسلم

فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التاويل كائنا من كان ظن
على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل
غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء عليهم الصلوة والسلام ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب
الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة
في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم
وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان
افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال تعالى لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
فامتحانه سبحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى
عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى
الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد
عن ابيه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي
على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الاية الثلث

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلا بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي رحمه الله تعالى ان كل من كان اكرم على الله عز وجل كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلا وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف صلى الله عليهما وسلم كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوماً هو وابنه يوسف صلى الله عليهما وسلم على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه صلوات الله وسلامه عليهما فعوقب يعقوب بالبكا اسفاً على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر منادياً ينادي على سطحه الا من كان مفطراً فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف صلى الله عليه بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروي عن الليث رحمه الله ان سبب بلا ايوب صلى الله عليه وسلم انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب صلى الله عليه وسلم فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمن صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكاً شديداً فقلت انك لتوعك وعكاً شديداً قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم



قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا يضاعف البلا ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخا وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزا مع عظم البلا وان الله اذا احب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون رحمهم الله تعالى في قوله تعالى من يعمل سوءاً يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة وابي ومجاهد رضي الله عنهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيراً يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية عائشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال صلى الله عليه وسلم في رواية ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله عز وجل في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف النفس والجسم لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلا ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلا والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه

وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة
الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه عز وجل ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا
رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ماله فيها من الاجر
وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف
هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله عز وجل
هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد
عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب
الآخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله تعالى وجل في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الآية ففجا جميعهم بالموت على
حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد وبغتة ولهذا ما ذكر عن السلف رضي الله
عنهم انهم كانوا يكرهون موت الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة
كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير
الموت وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم
تعاهده له للقاء ربه عز وجل ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا
بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدي
الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا
نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
تعالى وعترته وبالانصار عيبته رضي الله عنهم ودعا صلى الله عليه وسلم الى كتب كتاب

لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا
وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار
لاملاء الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على
غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة
للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو
غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب
الدنيا واذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وتاتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه
الصلوة والسلام قال القاضي رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع
الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود لعنوا كانوا
يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة

فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل
بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به صلى الله عليه وسلم وقيل بل لما فيها من
مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيه من قلة الادب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك
فنهوا عن ذلك اذ مضمنها انهم لا يرعونه صلى الله عليه وسلم الا برعايته لهم وهو
عليه الصلوة والسلام واجب الرعاية بكل حال وهو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن
التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان
صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القسم فقال لم اعنك انما دعوت
هذا فنهى صلى الله عليه وسلم حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به
صلى الله عليه وسلم فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا
له واستخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء رحمهم الله تعالى نهيه صلى الله عليه وسلم هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب
ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان
ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه صلى الله عليه وسلم عن اسمه لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه
به بقوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابي القسم بعضهم في بعض الاحوال
وقد روى انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي
ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري رحمه الله تعالى وحكى محمد بن سعد رحمه الله تعالى انه رضي الله عنه

نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر رضي الله عنه
لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك
والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد
باسماء الانبياء عليهم الصلوة والسلام اكراما لهم بذلك وغير اسماء جماعة تسموا باسماء
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده
صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابي القسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن
في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه الصلوة والسلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على ما بين كما قدمنا
الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به
او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه
والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه صلى الله عليه وسلم تسليما او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهودة لديه صلى الله عليه وسلم وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر رحمه الله تعالى اجمع
عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس

والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي رحمت الله عليهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند
هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم
قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك رحمه الله تعالى وحكى الطبري
مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه او برئ منه او كذبه صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون رحمه الله فيمن سبه صلى الله عليه وسلم ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف
الامة رحمت الله عليهم وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض
الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به صلى الله
عليه وسلم والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون رحمه الله تعالى اجمع العلماء
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له
وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين نقد
ابن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة لقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمن الخطابي رحمه الله تعالى لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن
مالك رحمه الله تعالى في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكى مطرف
عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم رحمه الله تعالى في العتبية من سبه او شتمه او عابه
او تنقصه صلى الله عليه وسلم فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد
فرض الله تعالى توقيره وبره صلى الله عليه وسلم وفي المبسوطة عن عثمن بن كنانة
رحمه الله تعالى من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا
ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس

سمعنا

سمعنا مالكا رحمه الله تعالى يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه
او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك رحمهم الله تعالى انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
رحمه الله تعالى وروى ابن وهب عن مالك رحمهما الله تعالى من قال ان رداء
النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل
وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
رحمه الله تعالى فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل
وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي
صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته
هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق
رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمن رحمه الله للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع رحمه الله تعالى لان ادعاء التأويل في لفظ صراح
لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب
اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب رحمه الله تعالى في عشار قال لرجل
ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل

النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلسي رحمهم الله تعالى بقتل ابن حاتم
المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه صلى الله عليه وسلم اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه
ان زهده صلى الله عليه وسلم لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه
لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون رحمهم الله تعالى بقتل ابرهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس
ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء
بالله تعالى وانبيائه ونبينا صلوات الله عليه وعليهم وسلامه فاحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا
ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي
استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر رحمه الله تعالى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي
ابو عبد الله بن المرابط رحمه الله تعالى من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم
يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز عليه ذلك في خاصته
اذ هو صلى الله عليه وسلم على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن
ربيع القروي رحمه الله تعالى مذهب ملك واصحابه رحمة الله عليهم ان من
قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
رحمه الله تعالى الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده
العلماء رحمة الله عليهم سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول
حكم من غمصه صلى الله عليه وسلم او عيره برعاية الغنم او السهو والنسيان او السحر او ما اصابه

من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه صلى الله عليه وسلم القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
رضي الله عنهم في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه
او عابه صلى الله عليه وسلم تسليما فمن القرآن لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والآخرة
وقرانه تبارك وتعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان
اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يوذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة الآية وقال تعالى في قاتل المومن مثل ذلك
فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
وقال تعالى في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله تعالى اي لعنهم الله ولانه
فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو
القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب
اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له صلى الله عليه وسلم ومن
تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن
بالله ويومن للمومنين ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير رحمهم الله تعالى كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة حدثنا ابو الحسن الدارقطني

وابو عمر بن حيويه حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا
عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن
الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله صلى الله عليه وسلم
من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون
دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك
بل للاذى وكذلك قتل صلى الله عليه وسلم ابا رافع قال البراء رضي الله عنه وكان يؤذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد رضي الله عنه انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقل
صلى الله عليه وسلم جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث
وعقبة بن ابي معيط وعهد صلى الله عليه وسلم بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار رحمه الله تعالى عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر عبد الرزاق
رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه انا فبارزه فقتله الزبير ويروى ايضا
ان امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها
خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم
فبعث عليا والزبير رضي الله عنهما اليه ليقتلاه وروى ابن قانع رحمه الله تعالى
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك

قولا

قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي
امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله
عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر رضي الله عنه ذلك فقال له
لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء عليهم الصلوة والسلام ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتسبه فقتلها واعلم النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي رضي الله عنه
كنت جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة رحمهم الله تعالى في هذا الحديث انه سب
ابا بكر رضي الله عنه ورواه النسائي رحمه الله تعالى اتيت ابا بكر رضي الله عنه
وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه
فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد
ابن نصر رحمه الله تعالى ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة رحمة الله عليهم
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او آذاه
او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه الى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ
مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا رحمهما الله تعالى في رجل شتم
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك
رحمه الله تعالى وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها صلى الله عليه وسلم

من شتم الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم جلد قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه كذا وقع في غير هذه
الحكاية رواها غير واحد ممن ذكر مناقب ملك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لم يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله ملك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه
صلى الله عليه وسلم كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه
او تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن ملك
والاوزاعي وبه قال الثوري وابو حنيفة والكوفيون والقول الآخر انه دليل على
الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير رحمهم الله تعالى هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا
لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير
دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي
صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت
العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على
غيره صلى الله عليه وسلم تسليما فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي

الذي

الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه صلى الله عليه وسلم ولا قتل الآخر الذي قال له
ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر
الاحيان فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه رضي الله عنهم انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
منفرين ويقول صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على
جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان صلى الله عليه وسلم يرفقهم بالعطاء
والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم
الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس
للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله تعالى على الدين
كله قتل صلى الله عليه وسلم من قدر عليه واشتهر امره كفعله صلى الله عليه وسلم
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان
يؤذيه صلى الله عليه وسلم كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا
بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع
امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام

وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل
حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله تعالى بعد
بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار رضي الله عن جميعهم
كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلوة والسلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله
الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدما
لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم
على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك
قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر
كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة
سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله تعالى
ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال
صلى الله عليه وسلم اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة

عليهم

عليهم من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال
محمد بن المواز رحمه الله تعالى لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار رحمه الله تعالى وقال قتادة رحمة الله عليه
في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم رحمة الله عليه ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشائخنا رحمة الله عليهم لعل القائل هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة
له وانما رآها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير
ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما
لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم
والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم
البخاري رحمه الله تعالى على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب
النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
عليه الصلوة والسلام سواء وقد قال القاضي ابو محمد بن نصر رحمه الله تعالى مجيبا
عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي
من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى المحتمل صح
في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري رضي الله عنه على حديث القسمة والخوارج
باب من ترك قتل الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه

عن ذلك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه الصلاة والسلام على سحره وسمه وهو أعظم
من سبه صلى الله عليه وسلم إلى أن نصره الله تعالى عليهم وأذن له في قتل من حيّنه
منهم وأنزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم
الجلا وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم صلى الله
عليه وسلم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
أنه عليه الصلاة والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة
الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم ممن سبه أو آذاه
وكذبه فإن هذه من حرمات الله تعالى التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق
بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله
به أذاه صلى الله عليه وسلم لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل
أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بردائه حتى أثر في عنقه وكرفع صوت
الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة رضي الله عنه
وكما كان من تظاهر زوجيه عليه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما وأشباه هذا
مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه
صلى الله عليه وسلم عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من أذى أهل الكتاب
والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه
قبل وبالله التوفيق فصل قال القاضي رحمه الله تعالى تقدم الكلام في قتل القاصد
لسبه صلى الله عليه وسلم والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال
فهذا وجه بيّن لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون
القائل لما قال في جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له

ولكنه

ولكنه تكلم في جهته عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة
ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلاة والسلام نقيصة مثل
أن ينسب إليه صلى الله عليه وسلم إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو حكم بين
الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما
اشتهر من أمور أخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد
خبره أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن ظهر
بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر
أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا
الوجه حكم الوجه الأول دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل
اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه
مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون رحمه الله تعالى في المأسور
يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه
وعن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا
وأفتى أبو الحسن القابسي رحمه الله تعالى فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره [يقتل صح] لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم
من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون من سببه وعلى
هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال
فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف عنه لأن الخمر كانت حينئذ
غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث
من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه

صلى الله عليه وسلم فيما قاله واتى به او نيفى نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل
بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان
مصرحاً بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوى الخلاف فى استتابته وعلى
القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبى صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره
بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستتراً بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى
من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القسم رحمه الله تعالى فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل او لم ينزل
عليه قرآن وانما هو شئ تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال
ابن القسم رحمه الله تعالى دعا الى ذلك سراً او جهراً وقال اصبغ رحمه الله تعالى
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله تعالى تبارك و
وقال اشهب رحمه الله تعالى فى يهودى تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس
او قال بعد نبيكم نبى يستتاب ان كان معلناً بذلك فان تاب والا قتل
وذلك لانه مكذب للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لا نبى بعدى مفتر على الله
تعالى فى دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون رحمهما الله تعالى
من شك فى حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل فهو كافر جاحد
وقال من كذب النبى صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال
احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون رحمه الله تعالى من قال ان النبى صلى الله عليه
وسلم اسود قتل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمن
الحداد قال لو قال انه صلى الله عليه وسلم مات قبل ان يلتحى او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفى قال حبيب بن ربيع رحمه الله تعالى تبديل

صفته

صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة ان شاء الله تعالى فصل الوجه الرابع ان يأتى
من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبى صلى الله عليه وسلم او غيره
او يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة
العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبى
صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم
ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا فى رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبى محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون رحمه الله تعالى هل هو كمن شتم النبى صلى الله عليه وسلم او شتم
الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقى واصبغ بن الفرج رحمهما الله تعالى لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب فى شتم
النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل
على شتم النبى صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة عليهم السلام ولا مقدمة يحمل
عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل قول
الآخر له صل على النبى محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلى عليه الآن لاجل
امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحرث بن مسكين القاضى وغيره فى مثل هذا الى القتل وتوقف
ابو الحسن القابسى رحمه الله تعالى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم
البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق
الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه

العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من
الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم
عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لابد من اعمام النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكى عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين
منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله
من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن
من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع
وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله سبحانه ولا سب رسوله عليه
الصلوة والسلام وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه
رحمهم الله تعالى في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس
من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول
ولا شك انه يدخل في مثل هذين العددين من آبائه واجداده جماعة من الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ولعل بعض هذا العدد ينقطع الى آدم عليه السلام فينبغي
الزجر عنه وتبيين ما جهله قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد
سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال
لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي
تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لابي
موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك
قتل قال القاضي رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله تعالى فيمن
قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت

فكان

فكان شيخنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي
ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو هذا وشدد
القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب
ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت
شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى
عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة
باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا
ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل
والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على سبيل التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير
بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب
الانبياء وان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم
انبياء الله تعالى ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب
او قد صبر نبي الله على عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة
تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير
على ان آخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه الصلوة
والسلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد

عند تدبره

قلنا محمد من ابيه بدل ○ هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل ○
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي
صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذا اشد ونحو منه قول الآخر ○
واذا ما رفعت راياته ○ خفقت بين جناحي جبرين وقول الآخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا ○ فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي
من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضى ○ وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما كثرنا
بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص
وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء
عليهم الصلوة والسلام نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء
ولا عزز حظوة الكرامة حين شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم
الله تعالى خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره
او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا

شديد

ممن

ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله
فان يك باقي سحر فرعون فيكم ○ فان عصا موسى بكف خصيب ○
وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من
ليلته وذكر القتيبي رحمه الله تعالى ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب
قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ○ خلقا وخلقا كما قد الشراكان ○
وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره
لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف هو فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيى وعلى هذا المنهج جاءت
فتيى امام مذهبنا مالك ابن انس رضي الله عنه واصحابه ففي النوادر من رواية ابن
ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال مالك رحمه الله تعالى قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوقبوا ان
يقولوا قد اخطأت الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لرجل
انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون رحمه الله تعالى
ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله تعالى وسئل القابسي رحمه الله تعالى عن رجل
قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل
عليه حين راه من وجهه ام عاب النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو
شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء

قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر
الا ان يكون المعتبس لم يذكر فجرب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا
في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه تبارك وتعالى في فعله
فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض
بمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد
ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت
فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع
عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال
ابو الحسن رحمه الله تعالى اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا آية له وكون
هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي
الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا
محمد بن منصور رحمه الله تعالى في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي
بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى
بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له
عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبره
على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او مجلس

على جهة الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن
تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه
في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك
ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن
على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله
عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق
النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى
حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكن اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا
نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به
ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله
لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي
بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى
الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله عليهم الصلوة والسلام على وجه
الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه سبحانه وتعالى
علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم

الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات
مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل رحمه الله تعالى انكار لبعض هذا على الحرث
ابن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه صلى الله عليه وسلم
او الازراء بمنصبه العلى على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث
الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن
عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب
فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكى ان رجلا سال مالكا رحمة الله عليه عمن يقول القرآن مخلوق فقال
مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيرى فقال مالك رحمه الله تعالى
انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت
تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه الصلوة والسلام فحكم هذا
حكم الساب نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فبادر بقتله ويعجل
الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القسم بن سلام رحمة الله عليه فيمن حفظ شطر
بيت مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف
فى الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم وكتابه
وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله تعالى اسلافنا المتقين المتحرزين

لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله
تعالى من قائلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم بن سلام رحمه الله تعالى
قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى
عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد بروايته
او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم او يختلف فى جوازه
عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر
فى ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء
حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على
طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا عليهم
الصلوة والسلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا فى ظاهر اللفظ ولا فى مقصد
اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن
يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى
فتنته فقد كره بعض السلف رحمهم الله تعالى تعليم النساء سورة يوسف
عليه السلام لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره
لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال ما من نبى الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى
بذلك عن موسى عليه الصلوة والسلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن
ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة
جميع العرب نعم فى ذلك للانبيا عليهم الصلوة والسلام حكمة بالغة وتدريج
الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم

من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على
طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكره لها على وجه تعريف حاله
صلى الله عليه وسلم والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى قبله وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى
امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير
من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده اياه بنصره وبالمؤمنين والف
بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان صلى الله عليه وسلم ابن ملك
او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره
ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال
له ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته صلى الله
عليه وسلم واحد علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع
ذكره صلى الله عليه وسلم في كتاب ارميا عليه السلام وبهذا وصفه صلى الله عليه
وسلم ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف صلى الله
عليه وسلم بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس فيه ذاك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره صلى الله عليه وسلم من امر
غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج

حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا
ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته
زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب
احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر
الانبياء عليهم الصلوة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا
لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها
الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله تعالى مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف رحمة الله عليهم
بل عنهم على الجملة رحمهم الله تعالى انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي
صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم
مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه عليهم الصلوة والسلام ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها

الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعانى واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابى بكر بن فورك تكلفه فى مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على
مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس
واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه فى الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة
والتعليم ان يلتزم فى كلامه عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر تلك الاحوال
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه صلى الله عليه وسلم من الشدائد ظهر عليه
الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبى صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ فى ابواب العصمة وتكلم على مجارى
اعماله واقواله عليه الصلوة والسلام تحرى احسن اللفظ وآداب العبارة ما امكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فاذا تكلم فى الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف فى القول والاخبار بخلاف ما وقع
سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا
تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم صلى الله عليه وسلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم فى الافعال قال هل تجوز منه صلى الله عليه وسلم المخالفة فى بعض الاوامر
والنواهى ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصى
او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى فهذا فى حق توقيره عليه الصلوة والسلام
وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء رحمهم الله تعالى لم يتحفظ
من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل

ترك

ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا
بين الناس مستعملا فى آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه الصلوة
والسلام اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشى او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا
فاما ما اورده على جهة النفى عنه صلى الله عليه وسلم والتنزيه فلا حرج فى تسريح
العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الكذب جملة
ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور فى الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند
ذكر مثل هذا وقد كان السلف رحمهم الله تعالى تظهر عليهم حالات شديدة عند
مجرد ذكره كما قدمناه فى القسم الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة
آى من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه
الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه تبارك وتعالى واجلالا له واشفاقا
من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم الباب الثانى فى حكم
سابه صلى الله عليه وسلم وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته
ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى فى حقه عليه الصلوة والسلام وذكرنا اجماع
العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام فى قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء رحمهم الله تعالى قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل
عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
ومسر الكفر فى هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله تعالى اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر
التوبة قتل بالسب اذ هو حده وقال ابو محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى مثله

وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون رحمه الله تعالى
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل
توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي
ابو الحسن بن القصار رحمه الله تعالى في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال
اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور
عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه
فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم
ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب
بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمة الله على جميعهم وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن
سحنون رحمه الله تعالى ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة
والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل
لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي
ابو محمد بن نصر رحمه الله تعالى محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين
من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم
بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى
وتقدس منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه الصلوة والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب
النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده

او يقذف

او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد
اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى او سرقة وغيره ولم يقتل ساب النبي صلى الله
عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه صلى الله عليه وسلم
لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وقال ابو عمران الفاسي رحمه الله تعالى من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي
لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو
يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم رحمهم الله تعالى فقد صرحوا بانه ردة قالوا
ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا
الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم
يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره
ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فيقتله حدا لاثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه صلى الله عليه وسلم
واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل
فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه
من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك
الصلوة واما من علم انه سبه صلى الله عليه وسلم معتقدا لاستحلاله فلا شك

في كفره بذلك وكذلك ان كان سبّه في نفسه كفراً كتكذيبه او تكفيره ونحوه
فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
حدًّا لقوله ومتقدم كفره وامره بعدُ الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام
يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء رحمهم الله تعالى
ونزّل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجرِ اختلافهم في الوراثة وغيرها على
ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد
اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم رحمهم الله
تعالى الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار رحمه الله تعالى انه اجماع
من الصحابة رضي الله عنهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم
ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عن جميعهم وبه
قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي
والشافعي واحمد واسحق واصحاب الرأي رحمهم الله تعالى وذهب طاوس
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن ابي سلمة وذكره عن معاذ رضي الله عنه وانكره سحنون عن معاذ وحكاه
الطحاوي عن ابي يوسف رحمهما الله تعالى وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه
توبته عند الله تعالى ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه
وحكي ايضا عن عطاء رحمه الله تعالى ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء رحمهم الله تعالى على ان المرتد والمرتدة في ذلك
سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق قاله عطاء وقتادة
رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة

وبه قال

وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى قال مالك رحمه الله تعالى والحر والعبد والذكر
والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه
انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي
وقول احمد واسحق واستحسنه مالك رحمهم الله تعالى وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد رحمة الله عليه يريد في الاستيناء
ثلثا وقال مالك رحمه الله تعالى ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه
يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار
رحمه الله تعالى وفي تأخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي رحمه الله تعالى
مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري رحمه الله تعالى
يدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي رحمه الله تعالى يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري رحمة الله عليه
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمهما الله تعالى انه يستتاب
ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع في كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد
عن ابن القسم رحمهما الله تعالى يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى
ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب
ام لا فقال مالك رحمه الله تعالى ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا
ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ رحمه الله تعالى يخوف ايام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي رحمه الله تعالى
يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ رحمه الله تعالى وأي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء
ويوقف ماله خيفة ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا

كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات
او خمسا قال ابن وهب عن ملك رحمه الله تعالى يستتاب ابدا كلما رجع
وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القسم رحمة الله عليهم وقال اسحق رحمه الله تعالى
يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة
قال ابن المنذر رحمه الله تعالى ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى
ادبا اذا رجع وهو على مذهب ملك والشافعي والكوفي رحمهم الله تعالى
فصل قال القاضي رحمه الله تعالى هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب
ثبوته من اقرار وعدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب
على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر
شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله
من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيد الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه
القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن ملك والاوزاعي رحمهما الله تعالى انها ردة فاذا تاب نكل ولملك رحمه الله تعالى
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب رحمه الله تعالى فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل
والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي رحمه الله تعالى في مثل هذا
ومن كان اقصى امره القتل فعاق عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن

ولا يستطال

ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر
فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح
وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه
الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم
هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل قال القاضي رحمه الله تعالى
هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه صلى الله عليه وسلم او عرض او استخف
بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم
لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء رحمهم الله تعالى الا ابا
حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ايمة الكفر الاية
ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون
بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عليهم من القطع في سرقة اموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله
عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو
المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه صلى الله عليه وسلم

ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه
صلى الله عليه وسلم ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر فى بغضه له صلى الله عليه وسلم
وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه
اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ وقيل
لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله عليه وسلم وجب عليه
لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى
يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا
لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك رحمه الله تعالى
فى كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبيا عليهم الصلوة والسلام
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القسم فى العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفى كتاب
محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين عليهم الصلوة والسلام من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن
مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان راهبا
تناول النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضى الله عنهما فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القسم رحمه الله تعالى فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شئ عليه لان الله تعالى اقرهم على مثله واما
ان سبه صلى الله عليه وسلم فقال ليس بنبى او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما
هو شئ تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القسم رحمه الله تعالى واذا قال النصرانى ديننا

خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان
محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففى هذا الادب الموجع والسجن
الطويل قال واما ان شتم النبى صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان
يسلم قاله مالك رحمه الله تعالى غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القسم رحمه الله تعالى
ومحمل قوله عندى ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون رحمهما الله تعالى فى سؤالات سليمان
ابن سالم فى اليهودى يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفى النوادر من رواية سحنون عنه رحمه الله تعالى من شتم الانبيا
عليهم الصلوة والسلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا ضربت
عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته فى سب النبى صلى الله
عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على
قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا قتلناه وان كان من دينه استحلاله
فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون رحمه الله تعالى
كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا
ذلك فى قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن
الاسلام من سبه صلى الله عليه وسلم من القتل كذلك لم تحصنه الذمة قال القاضى
ابو الفضل رحمه الله تعالى ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن
القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روى عن
المدنيين فى ذلك فحكى ابو المصعب الزهرى رحمه الله تعالى قال اتيت بنصرانى
قال والذى اصطفى عيسى على محمد فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما
وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب
عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سالنا مالكا عن نصرانى
بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه فى الجنة فهو الان فى الجنة ماله لم ينفع
نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك رحمه الله تعالى

ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رأيت انه لا يسعني
الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فأرى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار
حيا اذا تهافتوا في سبه صلى الله عليه وسلم ولقد كتب الى مالك رحمه الله تعالى
من مصر وذكر مسئلة ابن القسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان
تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال
انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن
لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي
الربوبية وبنوة عيسى لله تعالى الله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القسم بن الجلاب في كتابه من سب
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد رحمه الله تعالى في الذمي يسب روايتين في درء القتل
عنه باسلامه وقال ابن سحنون رحمه الله تعالى وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه
حدود الله تعالى فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره
فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط
القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء رحمهم الله تعالى
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون رحمه الله تعالى

الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ رحمه الله تعالى ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك
وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في
ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل
على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن رحمه الله تعالى
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ رحمه الله تعالى وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب
ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله وقال ابن القسم رحمه الله تعالى وحكمه حكم المرتد
لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله
تعالى وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما
المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله عز وجل ثم مات
ولم تعدل عليه بينة او لم يقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد
رحمهم الله تعالى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة

رحمهم الله عليهم ترثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما
تكسبه في ارتداده فللمسلمين قال القاضي رحمه الله تعالى وتفصيل ابي الحسن
في اجوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قولي ملك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ
ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع
لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن القسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد
عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث
قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القسم
ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل
دينه ام المسلمون فاجاب رحمه الله تعالى بانه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله
واختصاره الباب الثالث في حكم من سب الله سبحانه وتعالى
وملائكته وانبيائه عليهم الصلوة والسلام وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وازواجه وصحبه رضي الله عنهم اجمعين لا خلاف ان ساب الله سبحانه من
المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم في
المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن ملك رحمهم الله تعالى
في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان
يكون افترى على الله تعالى بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم
يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك رحمهما الله تعالى مثله وقال

المخزومي

المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم رحمهم الله تعالى لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا
ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى
فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا
يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير
التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض
لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم
ابن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى والتظلم منه والتعريض
فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم
وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل
في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال
في ساب الله سبحانه وتعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها
حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين
آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له
اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين
الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور
مذاهب اكثر اهل العلم وهو مذهب ملك واصحابه رحمهم الله تعالى على ما بيناه
قبل وذكرنا الخلاف في فصوله فصل واما من اضاف الى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد

والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
ملك واصحابه رحمت الله عليهم في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول ملك
واصحابه رحمهم الله تعالى ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون
رحمهم الله تعالى في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول ملك رحمه الله تعالى في الموطأ
وما رواه عن عمر بن العزيز وجده وعمه رحمهم الله تعالى من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القسم في اهل الاهواء من
الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل
كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا
وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم
قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية
والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا
عمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وقال ابن القسم رحمه الله تعالى من قال
ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي
ايضا عن سحنون رحمه الله تعالى مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام انه كافر
واختلفت الروايات عن ملك رحمه الله تعالى فاطلق في رواية الشاميين
ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء
كلهم كفار وقال رحمه الله تعالى من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء

من جحده

من جحده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه الله سبحانه وتعالى بنفسه
وقال رحمه الله تعالى فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال رحمه الله تعالى
ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر
ابن بكر التنيسي عنه رحمه الله تعالى يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله
البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا
رحمهم الله تعالى جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي رحمه الله تعالى
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف رحمهم الله تعالى تكفيرهم وممن
قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق
القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق
الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتأولين وهو قول احمد بن حنبل رحمهم الله تعالى وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن
ابي طالب وابن عمر رضي الله عنهم والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء
النظار والمتكلمين رحمت الله عليهم واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في
مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي رحمه الله تعالى
وانما قال ملك رضي الله عنه في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان
تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان ايضا قد يدخل في امر الدين بما يبقون بين المسلمين من العداوة
فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين والله الموفق للصواب

في امر الدين من سبيل الحج والجهاد
وفساد اهل البدع معظمة على الدين
وقد يدخل في امور الدنيا

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال
قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى
اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي
قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من
المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون رحمه الله تعالى ولا اعادة
على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع اصحاب مالك كلهم
المغيرة وابن كنانة واشهب رحمهم الله تعالى قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه
من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير وضده
واختلاف قولي مالك رحمه الله تعالى في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال
انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه
واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس رحمهما الله تعالى
حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل
ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا انما نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم هم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن
الاشعري رحمه الله تعالى واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو
الجهل بوجود الباري سبحانه وتعالى وقال مرة اخرى من اعتقد ان الله تعالى
جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب
ابو المعالي رحمه الله تعالى في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها
عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل

فان استباحة

فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من
الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها
يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع
ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب عرضة للتاويل
فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة
بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد
يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون
اشراك وقد ورد مثله في الزنى وعقوق الوالدين والزور وغير معصية واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع لانه صلى الله عليه وسلم
قال في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال صلى الله عليه وسلم
شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال صلى الله عليه وسلم
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد
فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم هاهنا حد لا كفر وقتل عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد رضي الله عنه في الحديث دعني اضرب
عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم
يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
اليه حتى يعود السهم على فوقه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم سبق الفرث
والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم

لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد
رضي الله عنه الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا تقتضي
تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة
مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة ولا تعويل على اخراجهم
من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء
في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم
للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب
المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله سبحانه وتعالى الجهل به لا يكفر احد
بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله تعالى
بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما
لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبني
عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب
ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله
ابن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة
للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في الواحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي
ابو بكر الباقلاني رحمه الله تعالى مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال
وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه وتعالى من حاله استفراغ

الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال بنحو هذا القول الجاحظ وثمامة
في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة
لله تعالى عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي رحمه الله تعالى
الى قريب من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر
فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر
اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل
البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله
سبحانه وتعالى او مع الله تعالى فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين
من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة عليهم السلام او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله تعالى من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ
من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالالهية الله سبحانه
وتعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور
او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه
في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره سبحانه وتعالى
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج اليه ومكالمته
او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب

بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص
وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام
خصوصا او احد من الانبيا عليهم السلام الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل عليه السلام
وكالمعطلة والقرامطة الاسماعيلية والعبيدية من الشيعة وان كان بعض
هؤلاء قد اشتركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبيا عليهم الصلوة والسلام
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
المسلمين كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل عليهم الصلوات
والسلام من الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة
المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل
الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل صلوات الله عليهم وسلامه والارتياب
فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا عليه الصلوة والسلام تعمد الكذب فيما بلغه
واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا
عليه وعليهم الصلوة والسلام او ازرى عليهم او آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
باجماع وكذلك يكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان لكل جنس من الحيوان
نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج
بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف
انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه

مع اجماع

مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي
وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير
صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلوة
والسلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته صلى الله عليه وسلم
الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل صلى الله عليهم وسلم وكاكثر الرافضة
القائلين بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم
القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز
اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء
ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه الصلوة والسلام انه خاتم النبيين ولا نبي
بعده واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل الى
كافة الناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه
المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا
اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب
او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف
فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
يقطع بتكفير كل من قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة
رضي الله عنهم كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

اذ لم تقدم عليًا وكفرت عليًا رضي الله عنه اذ لم يتقدم وبطلب حقه التقدم
فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل
القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار ملك رحمه الله تعالى
في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة رضي الله عنهم ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه صلى الله عليه وسلم عهد الى علي
رضي الله عنه وهو صلى الله عليه وسلم يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنت الله عليهم
وصلى الله على رسوله وآله وكذلك يكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها
والزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد
الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام
وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنى مما
حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض علاة المتصوفة
وكذلك يقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه الصلوة والسلام ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها ويقول انما وسجداتها هو
اوجب الله سبحانه علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه
وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي
النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم
والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان
العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام

او صفة

او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن
به علم ذلك وممن خالط المسلمين وان امتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه
بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول
عليه الصلوة والسلام ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة
والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول عليه الصلوة والسلام
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات
الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله
تعالى بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك
بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله
تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله تعالى ولا حجة فيه لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة

في كفرهما بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله
تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله ولتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد
علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن
جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا
بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
او النار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة
على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة وزعمهم ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في
كما قدمناه
قولهم ان الائمة افضل من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فاما من انكر ما عرف
بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي
الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل
عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به اذ ليس في ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه
فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع
فنكفره بذلك لسرايته الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع صلى الله عليه وسلم فاكثر المتكلمين من الفقهاء

والنظار

والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب
آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله
العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر
كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر رحمه الله تعالى القول عندي ان الكفر بالله
تعالى هو الجهل بوجوده والايمان بالله تعالى هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد
بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى بقول او فعل نص الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم
دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي
فعلا او يقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او يجمع المسلمون ان
ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار وزي
اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى
قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ
من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له عز وجل فقد نص ائمتنا رحمهم الله تعالى على الاجماع على كفر من نفى
عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون رحمه الله تعالى
من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من
جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء رحمهم الله تعالى ها هنا فكفره

بعضهم وحكى ذلك عن ابى جعفر الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى رحمهم الله
تعالى مرة وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعرى
رحمه الله تعالى قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقالة حق واحتج هولاء بحديث السوداء
رضى الله عنها وان النبى صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القايل لئن قدر الله تعالى علىّ وفى رواية فيه لعلى اضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد
من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر
بمعنى قدر ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه بل فى نفس البعث الذى لا يعلم
الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ
كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون
ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى اذهلت لبه فلم يواخذ به
وقيل كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز
كلام العرب الذى صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف
وله امثلة فى كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى ساير الصفات على
مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه
كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم
فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من
المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يواخذهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب
مذهبهم لم ير كفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى

من القول

تستغنى من القول بالمال الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يوول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس فى اكفار اهل
التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس فى ذلك والصواب
ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين
وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على من الصحابة
رضى الله عنهم وبعدهم فى التابعين رحمهم الله تعالى من قال بهذه الاقوال
من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا
لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفى والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق
ضلال عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضى ابو بكر
رحمه الله تعالى واما مسايل الوعد والوعيد والروية والمخلوق وخلق الافعال
وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع من اكفار المتاولين
فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشىء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على
اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف
فى هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
واما الذمى فروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى ذمى تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضى الله عنهما عليه بالسيف
فطلبه فهرب وقال مالك رحمه الله تعالى فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة
وابن القسم فى المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله عز وجل من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القسم رحمه الله تعالى
الا ان يسلم قال فى المبسوطة طوعا قال اصبغ رحمه الله تعالى لان الوجه الذى به كفروا

عليهم صح

بمودتهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غيرها من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القسم في كتاب محمد رحمهما الله تعالى
ومن شتم من غير اهل الاديان الله سبحانه وتعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه
قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
رحمت الله عليهم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا
قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك رحمهم الله تعالى وقال ابو محمد
ابن ابي زيد رحمه الله تعالى من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم
وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الاندلسيين رحمهم الله تعالى في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي
كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول
الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله سبحانه وتعالى به وسب نبيه عليه الصلوة والتسليم لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا
شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الذمي اذا تزندق
فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ رحمهم الله تعالى لا يقتل لانه خرج
من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون رحمه الله تعالى يقتل لانه دين
لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب رحمه الله تعالى ولا اعلم
من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه سبحانه واضافة ما لا يليق بجلاله
والالهية فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او النافي ان يكون الله تعالى خلقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما
لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه
مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من
من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون

ذلك

ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقل وسقط تكليفه ادب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبايح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما
تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وكرم وجهه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى
الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع
فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج
وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال
ابن عبد الحكم رحمه الله تعالى في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله تعالى من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد
وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد رحمهم الله تعالى والعتبية فيمن تنبأ
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره رحمت الله
عليهم وقاله اشهب رحمه الله تعالى في يهودي تنبا وادعى انه رسول الينا ان كان
معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد رحمهما الله تعالى
من لعن باريه تعالى وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره
ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي
رحمه الله تعالى في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله

طولب بمطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط
القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه سبحانه وتعالى او تمثل في بعض الاشياء ببعض
ما عظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه
سبحانه وتعالى غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر
هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته
وكبريائه سبحانه وتعالى وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه سبحانه وتعالى وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل
رحمهما الله تعالى من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان
خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد
صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك
دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب رحمه الله تعالى دمه في عنقي ايشتم ربا
عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها
عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم
باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه رحمهما الله
تعالى وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها
وقد سئل ابن القسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم
لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي رضي الله عنه وشرح
قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة

ربه تعالى

ربه تعالى لكفر هذا مقتضى قوله رحمه الله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم
في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا
واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل
ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا

قد كنت تسقينا فما بدا لكا ❊ انزل علينا الغيث لا ابا لكا

في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم
في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن
العودة الى مثله قال ابو سليمن الخطابي رحمه الله تعالى وهذا تهور من القول
والله جل جلاله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله رحمه الله
تعالى انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به كذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى
الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله
خيرا اعظاما لاسمه جل وتعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام
ابا بكر الشاشي رحمه الله تعالى كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تبارك
وتعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه سبحانه ويقول هولاء يتمندلون بالله جل وعز
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه
التي فصلناها والله الموفق فصل وحكم من سب سائر انبياء الله عز وجل وملائكته
واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه وعليهم الصلوة
والتسليم على مساق ما قدمناه قال الله تبارك وتعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الايه وقال عز وجل قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية الى قوله سبحانه لا نفرق بين احد منهم وقال
تعالى كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك

في كتاب ابن حبيب محمد وقاله ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون رحمهم الله تعالى فيمن شتم الانبيا عليهم الصلوة والسلام او احدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى
سحنون عن ابن القسم رحمهما الله تعالى من سب الانبيا عليهم الصلوة والسلام
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقد
تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن في بعض اجوبته
من سب الله سبحانه وتعالى وملائكته قتل وقال سحنون رحمه الله تعالى من شتم
ملكا من الملائكة عليهم السلام فعليه القتل وفي النوادر عن مالك رحمه الله تعالى
فيمن قال ان جبريل صلى الله عليه اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب
رضي الله عنه استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون رحمه الله تعالى
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اشبه بعلي رضي الله عنه من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
رحمة الله عليهم على اصلهم من كذب باحد من الانبيا عليهم الصلوة والسلام او تنقص
احدا منهم او برئ منه او شك في شيء من ذلك فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي
رحمه الله تعالى في الذي قال لآخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد
ذم الملك عليه السلام قتل قال القاضي رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين عليهم الصلوة والسلام او على معين ممن
حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والاجماع القاطع والمشتهر المتفق عليه كجبريل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة
ومن سمي فيه من الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه وكعزرائيل واسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة عليهم السلام المتفق على قبول الخبر بهم فاما من لم
تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبيا عليهم الصلوة والسلام

كهاروت

كهاروت وماروت في الملائكة وكالخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسيه
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر
المورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم
تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويودب بقدر حال المقول فيهم
لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم
او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلما رحمهم الله تعالى في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن
الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
رحمهم الله تعالى الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة
فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما
او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه
من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
رحمه الله تعالى حدثنا ابو علي حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن
داسة حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد
حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله تعالى المنزلة
او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران
المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى

دو حُبه المنزل على نبيه محمد عليه الصلوة والسلام وان جميع ما فيه حق وان من نقص
منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذى وقع الاجماع عليه واُجمِع على انه ليس من القرأن عامدا لكل
هذا انه كافر ولهذا رأى مالك رحمه الله تعالى قتل من سب عايشة رضي الله عنها
بالفرية لانه خالف القرأن ومن خالف القرأن قُتل اى لانه كذب بما فيه وقال
ابن القسم رحمه الله تعالى من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يُقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى وقال محمد بن سحنون رحمهما الله تعالى
فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى تُضرب عنقه الا ان يتوب
وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال
ان الله سبحانه وتعالى لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم تكليما وشهد آخر عليه انه قال
ان الله تعالى ما اتخذ ابرهيم صلى الله عليه وسلم خليلا قُتل لانهما اجتمعا على انه كذب
النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد رحمه الله تعالى جميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية رحمة الله
عليه اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ابرهيم رحمه الله
تعالى فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه من كفر بآية من القرأن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن
الفرج رحمه الله تعالى من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب
به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه وتعالى وقد سُئل القابسي
رحمه الله تعالى عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الآخر لعن الله
التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال
انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن رحمه الله تعالى الشاهد الواحد
لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة توجب التأويل اذ لعله لا يرى
اليهود متمسكين بشئ من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان

لم يقل له ليس بن

على لعن

على لعن التورية مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد رحمهم الله تعالى لقرائته واقرائه
بشواذ من الحروف مما ليس فى المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير ابى على بن مُقلة رحمه الله تعالى
سنة ثلث وعشرين وثلث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وغيره رحمهم الله تعالى وافتى ابو محمد بن ابى زيد رحمه الله تعالى بالادب فيمن
قال لصبى لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد
القرأن قال ابو محمد رحمه الله تعالى واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل
وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه الصلوة والسلام وتنقصهم رضي الله عنهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله تعالى حدثنا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل العدل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو على السنجى حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذى حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابرهم حدثنا عبيدة بن
ابى رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم
غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابى فانه يجئ قوم فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم ولا
تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابى فاضربوه وقد اعلم النبى صلى الله عليه وسلم
ان سبهم واذاهم يؤذيه واذاء النبى صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذونى
فى اصحابى ومن اذاهم فقد اذانى وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذونى فى عايشة

وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد
اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذا فمشهور مذهب ملك رحمه الله تعالى
في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال ملك رحمه الله تعالى من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال رحمه الله تعالى أيضا
من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا
أو معوية أو عمرو بن العاصي رضي الله عنهم فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
رحمه الله تعالى من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه
أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه أشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال سحنون رحمه الله تعالى من كفر أحدا من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما رضي الله عنهم يوجع ضربا وحكى
أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون رحمهما الله تعالى من قال في أبي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن ملك رحمه الله تعالى
من سب أبا بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل
له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه رحمهما الله تعالى
لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن
عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب
رحمة الله عليهما قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
في آي كثيرة وذكر سبحانه وتعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها
فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم

سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول
ملك رحمه الله تعالى في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله أعلم
أن الله تبارك وتعالى لما عظم سبها رضي الله عنها كما عظم سبه تعالى
وكان سبها رضي الله عنها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه
صلى الله عليه وسلم وأذاه بأذاه سبحانه وتعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل
كان حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة
رضي الله عنها بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال
ابن أبي ليلى رحمه الله أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه في الحجامين وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما
إذ شتم المقداد بن الاسود رضي الله عنه فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع
لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وروى
أبو ذر الهروي رحمه الله تعالى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار
رضي الله عنهم فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال ملك رحمه الله تعالى من
انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فليس له في هذا الفيء
حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم
قال والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار رضي الله عنهم
ثم قال والذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان
رحمه الله تعالى من قال في أحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض
أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل
هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاجلدوه قال ومن
قذف أم أحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد
من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام

قبول قيامه قال وليس هذا الحقوق غير الصحابة رضي الله عنهم لحرمته بهولاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير
عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن ففيه قولان احدهما
انه يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انه كساير
الصحابة رضي الله عنهم يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عن ملك رحمهما الله تعالى من انتسب الى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف
بحق الرسول عليه الصلوة والتسليم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه
مالقة رحمه الله تعالى في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت ابي الصديق رضي الله عنهما ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله
بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر رضي الله عنهما
في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه
الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك
ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله
عز وجل وقال ابن عمران رحمه الله تعالى في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق
رضي الله عنه انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان
اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل
في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عنه عما

ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما
تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع
فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا
عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا زيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل
ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته ويحشرنا
في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى
على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح
عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين
وسلم تسليما كثيرا اه كمل الديوان المبارك بحمد الله وحسن توفيقه ولطفه

الحمد لله الذي دلنا على الحق بخير الخلق وهدى وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم احمد الانام
رحمة وهدى وجعل الانتما الى محبة هذا الرسول المكرم المجتبى المصطفى شفاء القلوب
وان كانت على شفا احمده سبحانه على نعم لا تحصى عدا ولا يحصرها التعريف رسما ولا حدا
واصلي واسلم على المخاطب بخطاب التشريف والتمكين بقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وبعد فان انهاء هذا الكتاب الذي يستحق ان تكتب بسواد العيون
لا بمداد الكتاب الموسوم بكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى كان بدايته العشر
وجاه الحجرة الشريفة المطهرة في سنة المجاورة بالمدينة المنورة لا زالت لانوار مسورة

في سلخ شهر رجب الفرد يوم الجمعة • عام الف و مائة و اربعين • ختمت بالخير لكافة المسلمين
على يد الفقير المتشرف بالانتساب الى النبي البشير النذير السيد مصطفى المدعو بشفائي جلبي
ابن موسى غفر الله لهما ما اساء • ملتزما في وقت الكتابة والتحرير كمال النظافة والتطهير
والصلوة والسلام عند كتابة كل سطر على سيد الانام • وحيث كان من صحيح الاحاديث
المروية عن النبي الذي لا ينطق عن الهوى • قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرء ما نوى • ظهر مصداق ذلك فيما انطوت عليه نية هذا الحقير في كتابة
هذا الكتاب الخطير • وذلك ان طائفة الافغان لما سول لهم الشيطان الغرور
بالغرور والعصيان • على سلطان سلاطين اهل الايمان • ناشر اعلام الجهاد مكتب
الكتائب ومجند الاجناد • رأس الغزاة والمجاهدين • سيف الملة الحنيفية والدين
غيث الندا وغوث الند للمسلمين • السلطان بن السلطان مولانا السلطان
الغازي احمد خان بن محمد خان لا زالت اركان دولته العالية شامخة البنيان
لزم شرعا وتأكيد الوجوب على كل مسلم قطعا ان يعين في واجب الجهاد بما يتوجه
اليه خطاب الوجوب • على الوجه الحسن المرغوب • فالهمني الله وله الحمد ان اكتب
كتاب الشفائية نصرة عساكر الاسلام • وجنود سلطان الانام • حتى يدخل ملك
ملك ديار الاعجام • تحت وطأة سلطان الدولة العثمانية • ايد الله شوكته القوية
ويكون طائفة الافغان طوعا او كرها في طاعة ملك الزمان • وسألت الله تعالى
بقلب طامع في افضاله • خاضع بجلاله • ان يكون حصول هذه الامنية قبل تمام كتاب
الشفا لخلوص نية وصفاء طوية • ثم انه وافق ما في الضمير رأي الاصابة وحسن التدبير
من حضرة الوزير المكرم • المشير المفخم • قبودان مصطفى باشا بلغه الله من الخير ما شاء
موافقا للرأي السديد • والمقصد الصالح الحميد من حضرة صاحب الطالع السعيد
والامر الرشيد • مركز دائرة نظام امور جمهور المسلمين • بدر المفاسد وجالب المصالح
مدبر احوال الانام • في خدمة سلاطين الاسلام • بكل مقصد صالح الصدر الاعظم الوزير المعظم
ولي النعم ابرهيم باشا • زاد الله به الدين الحنيف انتعاشا • وايد به ظهور سر ملته بسيد المرسلين

المنوه

المنوه بذكرها في محكم الكتاب المبين • بقوله تعالى وهو اصدق القائلين • ملة ابيكم
ابرهيم هو سماكم المسلمين • فانه اتفق رأي الوزيرين المكرمين على تحصيل كتاب الشفا الى نور
بنية النصر والظفر للعسكر المنصور الذين ملؤا الفضا والصحاري • ويبعثون من كل حدب
ينسلون للذين انصاره للاستيلاء على دائرة الافغان • وما دخل تحت ايديهم
من سائر البلدان • فكان ولله الحمد قبل تمام نسخ هذا الكتاب • وصول الخبر المستطاب
بان حزب الافغان وكبيرهم ومأمورهم واميرهم • لما عرفوا صولة اجناد سلطان
المسلمين • وان لا قبل لهم بالخروج عن طاعة ظل الله في العالمين • نكسوا رؤس
اعلام غيهم بالذلة لسلطان الاسلام • ورفعوا الوية اجناده على العيون والهام
ورجعوا عن الطيش الى الاصابة • ووافق سهم الدولة العثمانية المقرونة بالشريعة
النبوية غرض التسديد والاصابة • والحمد لله على التمام • والصلاة والسلام
على سيد الانام • وآله وصحبه الكرام •
ونسأل الله حسن الختام •

